النقد الأدبى
من العصر الجاهلى إلى العصر العباسى
عرض ودراسة

أ . د. محمد مختار جمعة مبروك
أستاذ الأدب والنقد
والعميد الأسبق لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
جامعة الأزهر بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد ،،،

فهذه مجموعة محاضرات، تتناول النقد الأدبى من العصر الجاهلى حتى العصر العباسى، وقد عملت على إخراجها فى ثوب عربى قشيب، ونأيت بها عن الحشو والتعقيد، وما أضيف إلى النقد الأدبى من فلسفات انحرفت أو كادت تنحرف به عن مساره الصحيح، ومع أنى لا أنكر محاولة الاستفادة بعلوم النفس والاجتماع والجمال، وما ترجم عن الآداب الأخرى فإنى أؤكد على أن يظل ذلك فى حدود أو نطاق ما يخدم القضايا النقدية، وبما يتفق وطبيعة أدبنا العربى، وأؤكد أن هذه المذاهب النقدية، التى نشأت فى دنيا الغرب " إنما هى مذاهب الغربيين لا مذاهبنا، وأنها أنشئت لهم لا لنا " وأننا إن جاز لنا أن ننقلها إلى متأدبينا فليس يجوز لنا أن نرخص لهم فى محاكاتها كمحاكاة القرود، ولا يجوز لنا أن نفرضها على أدبنا الحديث كمقياس نقدى، اللهم

إلا على أدب من يتبناها ويصطنعها، ثم لا يجوز لنا – بحال من الأحوال – أن نطبقها على الأدب العربى قبل هذا العصر الحديث" [1].

وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كما أتوجه بالشكر إلى الوالد الكريم الأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود، الذى زادنى جميلاً إلى جميل، ومعروفًا إلى معروف، فشجعنى على كتابة هذه المحاضرات، وشملها برعايته، مما جعلنى آمنًا مطمئنًا إلى ما أكتب، وإن كنت قد أكثرت الإفادة من آرائه وكتبه، فالولد صنعة أبيه، ومن أشبه أباه فما ظلم، فبارك الله فى فضيلته وأمد لنا فى عمره، وجزاه عنا خير الجزاء.

(١) المذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٣ طبعة المؤلف سنة ١٩٧٣م.

تمـهيـد

مفهوم النقد

يطلق النقد – فى اللغة– على عدة معان، أهمها فى هذا المقام :

١ـ الاختبار والتمييز:

يقال : نقد الشىء نقدا : أى نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه ونقد الدراهم والدنانير وغيرها نقدا وتنقادا: ميز جيدها من رديئها [(١)].

والنقد والتنقاد : تمييز الدراهم و إخراج الزيف منها، ومنه قول الشاعر[(٢)].

تنفى يداها الحصا فى كل هاجرة

نفى الدنانير تنقاد الصياريف

٢– العيب والانتقاص:

يقال : فلان ينقد الناس: أى يعيبهم ويغتابهم، وفى حديث أبى الدرداء " إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك، ومعناه: إن عبتهم واغتبتهم قابلوك بمثل صنيعك، وإن كففت عن عيبهم وتركتهم كفوا عن عيبك

---

(١) المعجم الوسيط: مادة " نقد ".

(٢) اللسان : مادة " نقد"، ويروى نفى الدراهيم، وفى البيت تشبيه حركة الناقة فى الحصا بحركة الصيارفة فى النقود المعدنية، انظر: اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٨.

وتركوك [1]، وقالوا فى هذا أيضًا : " انتقد فلان الشعر على قائله" ، والتعدية بالجار تشعر بالعيب ، والعيب لون من ألوان الحكم ومن النقاد من يقصر عمله على هذا المعنى، والدوافع إلى هذا متعددة: فمن النقاد من تملى عليه طبيعته أن ينكأ الجراح، ومنهم من يكو ن قاصرًا عن إدراك المحاسن والمزايا وأوجه الصواب، ومنهم من تصيبه الأعمال الأدبية غير السوية بغصه نقدية، ومنهم من يرغب فى إظهار الأخطاء والمساوئ حتى تجتنب، ومنهم من يجاوز المحاسن لكثرتها إلى إبراز وجوه المخالفة فى الرأى والاتجاه ، وهذه – مهما كثرت فى أى عمل يستحق نسبته إلى الأدب – قليلة إلى جانب ما يستحق التقريظ والمديح " [2].

على أن المعنى اللغوى الأول – الاختبار والتمييز – هو أنسب المعانى وأليقها بالمراد من كلمة النقد فى الاصطلاح الحديث من ناحية ، وفى اصطلاح أكثر المتقدمين من ناحية أخرى؛ فإن فيه معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم[3].

وهو ما يقوم عليه أمر النقد الأدبى ، فلنعرض معناه فى الاصطلاح.

---

(١) انظر اللسان : مادة " نقد ".

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١١، ١٢.

(٣) انظر: أصول النقد الأدبى للأستاذ / أحمد الشايب ص ١١٥.

النقد فى الاصطلاح :

هو دراسة الأعمال الأدبية وتفسيرها وتحليلها ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها [١].

أو هو : تمييز الأدب ونظره لمعرفة جيده ورديئه، وإخراج الزيف منه [٢].

وهذا التمييز يقتضى [٣]:

أولاً : تحليل الأدب، أى تفسيره وكشف حيويته .

ثانيًا : تقويمه ووضعه فى المنزلة الأدبية يستحقها ، والحكم عليه بالجودة أو الرداءة.

الناقد وما يشترط فيه :

يشترط الكتَّاب فيمن يتصدى لأمر النقد شروطًا كثيرة، لكنها ترجع فى جملتها إلى أمرين :

(أ) الخبرة والدربة.

(ب) طول المدارسة وكثرة التحصيل.

---

(١) انظر: أصول النقد الأدبى ص ١١٥، ١١٦.

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠، ١١.

(٣) المرجع السابق ص ١٢.

أولاً : الخبرة والدربة :

يقول القاضى الجرجانى: لكل صناعة أهل يرجع إليهم فى خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها[١].

والشعر صناعة يعرفها أهل العلم به، الذين كونوا بخبرتهم، وطول ممارستهم إياه، وكثرة مدارستهم له – ذوقًا أدبيًّا يعطيهم القدرة على تذوقه ونقده[٢]، وهذا ما قرره ابن سلام بقوله : " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر الصناعات، فمنها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومها ما يثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة أو وزن دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة[٣] بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون، ولا مس، ولا طراز ، ولا جس، ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة.. " [٤] ومضى ابن سلام يضرب الأمثلة بالنخيل والرقيق والقيان، ويرد الحكم فى ذلك كله إلى أهل الخبرة والعلم به .

وجاء الآمدى فأكد ما قرره ابن سلام، وزاده وضوحًا وتفصيلا بقوله :

ألا ترى أنه قد يكون فَرَسان سليمان من كل عيب، موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة .

---

(١) الوساطة للقاضى الجرجانى ص ١٠٠ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ط . بيروت.

(٢) انظر : نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ١٥.

(٣) الجهبذة : الخبرة .

(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام "ج١ ص ٥، والعمدة ج١ ص ١١٨.

وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال، المتقاربتان فى الوصف، السليمتان من كل عيب – قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق، حتى يجعل بينهما فى الثمن فضلاً كبيرًا، فإذا قيل له : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها؟ ومن أين فضلت هذا الفرس على صاحبه؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنما يعرفه كل واحد منهما بطبعه، وكثرة دربته، وطول ملابسته.

وكذلك الشعر، قد يتقارب البيتان الجيدان النادران، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدًا، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفًا.

قال إسحاق الموصلى : سألنى محمد الأمين عن شعرين متقاربين، وقال : اختر أحدهما، فاخترت، فقال من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان؟ فقلت: لو تفاوتا لأمكننى التبيين ، ولكنهما تقاربا، وفضلت هذا بشىء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان.

وسبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض به ، وطول الملابسة له– هو أن يقضى له بالعلم بالشعر، والمعرفة بأغراضه، وإن يسلم له الحكم فيه، ويقبل منه ما يقوله، ويعمل على ما يمثله، ولا ينازع فى شىء من ذلك، إذ كان ما من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظيرًا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة [1].

---

(١) الموازنة للآمدى، ج١ ص ٤١٢ ،٤١٤ بتصرف، تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف سنة ١٩٩٢م، الطبعة الرابعة.

ثانيًا : طول المدارسة وكثرة التحصيل :

يطلب من الناقد أن يكون أديبًا وعالمًا بالأدب، ويطلب منه أن يكون أديبًا؛ لأن نقده قد يلزمه فى بعض الأحايين أن يلبس ثوب الأديب ليعرف مقدار ما عاناه الأديب فى سبيل هذا النص الذى يزنه له، أو يعطيه قيمته من الحسن أو القبح، وليرى على ضوء ذلك كله إن كان فى الإمكان الزيادة على جهده الذى بذله أم لا . ويطلب منه أن يكون عالمًا بالأدب لا أديبًا وكفى، لأن علمه الذى جمعه يجعل له بصرًا بالحكم، واعتدالاً فى الرأى ، وإنصافًا فى القضية " [1].

فإن لم يستطع الناقد أن يكون أديبًا فعليه – على أقل تقدير– أن يلم إلمامًا جيدًا بأدوات صناعته والتى ذكر ابن طباطبا منها:

" التوسع فى علم اللغة ، والبراعة فى فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب ، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم ، والوقوف على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر والتصرف فى معانيه فى كل فن قالته العرب فيه ... " [2].

وأيًّا كان الأمر فلابد للناقد من الأمور الآتية [3]:

١– أن يكون محيطًا إحاطة تامة بالعلوم اللسانية من النحو والصرف والعروض والبلاغة .

---

(١) فى محيط النقد الأدبى للأستاذ الدكتور/ إبراهيم على أبو الخشب ، ص ٤٧ بتصرف.

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا، ص ١٨.

(٣) انظر: فى محيط النقد الأدبى للأستاذ الدكتور / إبراهيم على أبو الخشب ص ٥٢، ٥٣، وراجع ص ٤٧، ٤٨.

٢- أن يكون له إلمام واسع، واطلاع كبير، وصلة وثيقة بمعاجم اللغة ليعرف دلالة الألفاظ على المعانى بالحقيقة أو المجاز، وحوشيتها، أو كثرة استعمالها، ونحو ذلك .

٣- أن يكون على إحاطة تامة بتاريخ الأدب، فيتناول المراحل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التى مر بها الأدب؛ لأنه يتأثر بها، ويسير عليها، وتظهر ملامحها فيه، فإنه لابد للناقد من الإحاطة بها، ليربط بينها وبين النص أو الحكم الذى يصدره عن الكاتب أو الشاعر . وكذلك ما يتصل بحياة الأديب العامة والخاصة من النشأة ، والثقافة ، وحالته الاقتصادية والاجتماعية ونحو ذلك مما يكون له أثر كبير فى توجهات الأديب ونتاجه الأدبى .

٤- أن يكون على صلة وثيقة بالدراسات النقدية القديمة والحديثة أو العصرية ، مستفيدًا من العلوم الأخرى – كعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الجمال – ما يخدم النقد الأدبى ولا يحيد به عن مساره .

الذوق الأدبى :

والذوق الأدبى الذى نريده إنما هو الذوق المهذب الذى قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الردىء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبح [1].

---

(١) الوساطة للجرجانى ص ٣٥.

وأصحاب الذوق السليم قليلون ، وهم مضطرون دائمًا إلى حفظ أذواقهم من الآفات التى تفسدها، بل إنهم مطالبون بصقل هذا الذوق وتهذيبه بالمدارسة ودوام التحصيل، فليس من شك أن الدرس يهذب الذوق وينميه، ويسمو به إلى درجة عالية، فالأديب ذو الفطرة الذواقة يفيد من قراءة الأدب ومعالجة الفنون، فتراه بعد قليل مصقول الذوق، ثاقب الذهن، يضع يده على العبارة البليغة ، والخيال الجميل، ويدرك صدق العبارة ، وينفر من كل مضطرب من الأدب كاذب، إذا سألته عن سر البلاغة أو العى استطاع التعليل وأصاب وجه الصواب [1].

وعن الذوق الأدبى يقول الآمدى: "وأنص على الجيد وأفضله ، وعلى الردىء، وأرذله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهى إليه التخليص ، وتحيط به العبارة، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهو علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يفضل أهل الحذاقة [2] **بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت تجربته، وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة وامتزاج بها ، وإلا فلا "** [3].

(١) انظر: أصول النقد الأدبى للأستاذ / أحمد الشايب ص ١٢١، ١٣٢.

(٢) الحذاقة (بفتح الحاء وكسرها) : الحذق والمهارة .

(٣) الموازنة للآمدى ، ج١ ص ٤١١.

الفصل الأول

النقد فى العصر الجاهلى

النقد فى العصر الجاهلى

يرى بعض الكتاب أن تاريخ الشعر الجاهلى يرجع إلى نحو خمسين ومائة أو مائتى عام قبل ظهور الإسلام [١]، وأن الشعر بدأ فى صورة أبيات أو مقطوعات يرسلها العربى بين يدى حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف [٢].

ولكن أحدًا من هؤلاء الكتاب لم يستطع أن يحدد سنة ولادته، ولا أول شعر أو أول شاعر؛ وذلك لأن الشعر واحد من الفنون التى خضعت لنظرية النشوء والارتقاء فى حقبة لم يكن التدوين أو المنهج العلمى الذى يعنى بتاريخ الآداب والفنون فيها مكان ولا وجود، ولم يحفظ لنا الرواة المحاولات أو الإرهاصات التى سبقت نضوج هذا الفن ، وإن كانوا قد نقلوا إلينا بعض القصائد المضطربة الوزن والتى تدل على أن الشعر كان لا يزال فى طوره الأول .

وما ينطبق فى ذلك على الشعر ينطبق – أيضًا – على النقد ؛ إذ لا يستطيع أحد أن يحدد أول ناقد أو أول منقود ، فقد يظهر مع تتابع البحث والعثور على بعض المصادر التى لم تصل إلينا ما يجعل مثل هذا الأحكام مجرد حدث أو تخمين.

---

(١) انظر: الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٧٤.

(٢) انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١ ص ٢٦.

لكن الرواة قد نقلوا إلينا ما يؤكد أن النقد قد سار مع الشعر جنبًا إلى جنب فما دام هناك قائل يقول فإن هناك – بالطبع – مستمعا يسمع وناقدًا ينقد، وفيما يلى عرض لأهم مظاهر النقد فى العصر الجاهلى، يتبعه بيان بطبيعة النقد ومنهجه فى هذا العصر.

مظاهر النقد فى العصر الجاهلى :

وتتمثل فى :

(أ) التنقيح والتثقيف.

(ب) المفاضلة بين الشعراء.

(ج) الاستحسان والاستهجان.

(د) الاختيار أو الانتخاب .

أولاً : التنقيح والتثقيف :

لم يكن شعراء الجاهلية وخطباؤها يقولون أو ينظمون كل ما يخطر ببالهم حيثما اتفق دون نظر أو تفكير ؛ بل كانوا يعيدون النظر مرات ومرات فى معانيهم وألفاظهم وأساليبهم ، يهذبونها ويبذلون فى انتقائها جهدًا كبيرًا حتى تخرج فى صورة أدعى للقبول وأولى بالتقديم والتقدير، إنما كانوا كما قال الجاحظ: إذا احتاجوا إلى الرأى فى معاظم التدبير ، ومهمات الأمور ميزوه فى صدورهم، وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير، وقام على الخلاص [1]، أبرزوه محككا منقحا، ومصفى من الأدناس مهذبًا، وكانوا

(١) الخلاص : الزبد إذا خلص من الثفل، والمراد أن الرأى استوى ونضج.

يستعيذون بالله من الرأى الدبرى والجواب الدبرى : أى الذى يكون من غير روية" [١]،ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتًا [٢]. وزمنًا طويلا يردد فيها نظره ويجيل فيها [٣] عقله، ويقلب فيه رأيه ، اتهامًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره إشفاقًا على أدبه، وإحرارًا لما خوله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدات، والمنقحات ، والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيدا[٤] وشاعرًا مفلقًا [٥].

وروى أن زهيرًا كان يسمى كبار قصائده الحوليات؛ ولذلك قال الحطيئة "خير الشعر الحولى المحك" [٦]، وهو يريد شعر أستاذه زهير وشعره هو .

وكان الأصمعى يقول : زهير والنابغة من عبيد الشعر : يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما.

ومن أصحابهما فى التنقيح والتثقيف والتحكيك طفيل الغنوى، وقد قيل إن زهيرًا روى له ، ومنهم الحطيئة، والنمر بن تولب، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس [٧]، ومنهم كعب بن زهير وغيره.

---

(١) البيان والتبيين ج١ ص ١٣، ١٤.

(٢) كريتا : تامًا كاملاً .

(٣) يجيل عقله : يعمله.

(٤) خنذيدًا : تامًا ، قال الجاحظ : والشعراء عندهم أربع طبقات، فحل خنذيد ، ودونه الشاعر المفلق، ثم الشاعر، ثم الشويعر.

(٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ٦.

(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ١٣.

(٧) العمدة ج١ ص ١٢٣.

وأستاذ هذه المدرسة هو أوس بن حجر التميمى، وقد تميز – كما يقول الدكتور طه حسين[1] – بميزتين : إحداهما أن خياله كان ماديًّا شديد التأثر بالحس، والثانية أنه كان فنانًا يتخذ الشعر حرفة وصناعة وفنًّا يدرس ويتعلم ، وينشئه صاحبه إنشاءً ، ويفكر فيه تفكيرًا، ويقضى فى إنشائه والتفكير فيه الوقت غير القصير.

وأنت ترى أن الميزة الأولى فطرية لم ينشئها أوس ، ولكنه نماها وتعهدها وأكثر الاعتماد عليها، وأما الميزة الأخرى فإرادية تعمدها الشاهد ، وقصد إليها، واتخذها قاعدة أساسية لفنه الشعرى، وهى مقاومة الطبع وعدم الاندفاع فى قوله الشعر مع السجية التى ترسل إرسالاً فتفيض بالشعر كما يفيض الينبوع بالماء .

وهذه المقاومة التى حملت أوسًا على أن يعمل شعره ويتكلفه هى التى نلمسها ظاهرة عند زهير وكعب والحطيئة ، وهى التى لمسها وأحسها الرواة عند هؤلاء الشعراء فوصفوهم بما وصفوهم به من الأناة والروية فى قول الشعر .

وروى أن الحطيئة قال لكعب بن زهير : قد علمتم روايتى لكم أهل البيت وانقطاعى إليكم فلو قلت شعرًا تذكر فيه نفسك ، ثم تذكرنى بعدك فإن الناس أروى لأشعاركم ، فقال كعب [2]:

---

(١) فى الأدب الجاهلى د/ طه حسين ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٣، وانظر ص ٨٥، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان ط . دار إحياء العلوم، بيروت.

ومن للقوافى شأنها من يحوكها

إذا ما ثوى كعب وفوز جرول[1]

يقول فلا يعيا بشىء يقولـــــه

ومن قائليها من يسىء ويعمل

يقومها حتى تلين متونهـــــا

فيقصر عنها كل ما يتمثـــــل

كفيتك لا تلقى من الناس شاعرًا

تنخل منها مثل ما أتنخـــل

وإذا كان الشاعر لا يخرج أشعاره إلا بعد الجهد والمعاناة فمن المؤكد أنه كان يعيد النظر مرات ومرات؛ لأنه يعلم أن كلامه سيقاس بمقياس دقيق، هذا المقياس يدعى الشاعر لنفسه- وهو يحوك شعره – أنه أعلم الناس به، وأولاهم بأن يقيس كلامه قبل أن يخرجه عليهم، حتى يبرأ كلامه من الاعتراض ويسلم من كل عيب [2]، وما أرى ذلك إلا لونا من ألوان النقد وضربًا من ضروبه.

على أنى أنبه على أمرين :

---

(١) فوز : هلك ، وجرول : اسم الحطيئة، وهو جرول بن أوس ابن مالك بن جؤية من قيس عيلان، وهو مـــن رواة زهير وتلاميذه، لكنه كان رقيق الدين، سيء الخلق، بذىء اللسان هجاء مقذعًا ، انظر فى أخبـــاره طبقـــات فحـــول الشعراء ج١ ص ١٢، والشعر والشعراء ص ٢٠٣، والأغانى ج٢ ص ٤٠.

(٢) المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبد ربه ص ٥٣.

أحدهما : أنه لابد من التفرقة بين درجتين من التثقيف، هما : الصنعة المقبولة والمطلوبة فى الفن، والصنعة التى تدخل فى باب التكلف المقيت والتزويق غير المستساغ [١].

ومن الأولى تأتى حوليات زهير التى كان " يكرر نظره فيها خوفًا من التعقيب بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة، وربما رصد نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافى، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض [٢].

الأمر الآخر:

أن شعراء العرب لم يكونوا جميعًا على شاكلة زهير وتلاميذه ، بل كان هناك اتجاه مقابل يتمثل فى مدرسة المطبوعين الذين يقولون الشعر عن بديهة وسرعة خاطر، وقيل : إنما سمى الأعشى صناجة العرب؛ لقوة طبعه وحلية شعره، يخيل إليك إذا أنشدته أن آخر ينشد معك[٣]، وعن هذا الاتجاه يعبر مزرد أخو الشماخ فى رده على كعب بن زهير فيقول [٤] :

---

(١) انظر : معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء عبد المنعم جبر ص ٥٢ .

(٢) العمدة ج١ ص ١٢٩.

(٣) انظر : العمدة ج ١ ص ١٣٠.

(٤) الشعر والشعراء ص ٨٦.

فلست كحسان الحسام بن ثابت

ولست كشمـــاخ ولا كالمـخبل

ثم يقول الكميت [1]:

فدونك مقـــربة لا تســـــا

ط كرهـــــا بســـوط ولا تركل

مهذبة لا كقولى الهـــــــذا

ء ممن يسىء ومـــن يعمـــــل

وما ضرها أن كعبا ثـــــــوى

وفوز من بعـده جـــــــرول

ثانيًا : المفاضلة بين الشعراء :

تكاد المصادر الأدبية تجمع على أن النابغة الذبيانى كان فى الجاهلية يجلس فى سوق عكاظ للحكم بين الشعراء، تضرب له قبة من أدم، ويأتيه الشعراء ينشدونه أشعارهم فيحكم بينهم، ومن ذلك:

١- ما روى من أن الأعشى دخل على النابغة فأنشده، ثم أنشده حسان ابن ثابت ثم أنشدته الشعراء ثم الخنساء .

قولها :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به

كأنه علـــــــم فى رأســـه نار

(١) الشعر والشعراء : الموضع السابق .

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا

وإن صخـــرًا إذا نشتـــو لنحـــار

فقال : والله لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفًا لقلت إنك أشعر الجن والإنس ، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ، فقال النابغة: يابن أخى أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فخنس حسان لقوله [1] .

وهذه الرواية تساير منطق النقد فى العصر الجاهلى، ولا حرج فى قبولها لأنها تعنى أن النابغة واجه تمرد حسان عليه بأنه لا يحسن أن يقول مثل قول النابغة " فإنك كالليل " [2].

فقد أراد النابغة أن يلفت نظر حسان إلى فن عرف النابغة بأنه أستاذه، وهو فن الاعتذار الذى أتى فيه بمعان لم يُسبق إليها، فعرفت به وعرف بها من نحو قوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث أى الرجال المهذب

وقوله :

فلا تتركنى بالوعيد كأننى

إلى الناس مطلى به القار أجرب

(١) الأغانى ج٩ ص ١٥٦.

(٢) انظر: اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٣٨.

وقوله :

فلو كفى اليمين بغتك خونًا

لأفردت اليمين من الشمـــال

حتى قيل : إن أشعر الناس : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب [1]،

ولا شك أن حسان قد فطن لما أراده النابغة فعرف قدره وخنس كما تقول الرواية.

على أن هناك رواية أخرى تذكر أن حسان جاء إلى النابغة وعنده الأعشى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها :

قذى بعينك أم بالعين عوار

أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

فلما انتهت إلى قولها :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به

كأنه علـــم فى رأســـــه نـــار

قال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدنى قبلك لقلت : إنك أشعر الناس ، أنت – والله – أشعر من كل أنثى ، قالت : والله ومن كل ذكر ، فقال حسان : أنا – والله – اشعر منك ومنها، قال النابغة : حيث تقول ماذا ؟

(١) العمدة ج ١ ص ٩٥.

قال : حيث أقول :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحا

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق

فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنمـــا

فقال النابغة : إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك(١).

وأرى أن هذا النقد – أيضًا – يمكن أن يكون مقبولا ، فليس بمستغرب أن يعرف رجل كالنابغة – جلس للحكم بين الشعراء– ما يدل على القلة وما يدل على الكثرة، وأن الفخر بالأصول مقدم على الفخر بالفروع، بل المستغرب ألا يعرف النابغة ذلك، فهم وإن كانوا لا يعرفون الأسماء الاصطلاحية لجموع القلة والكثرة ونحو ذلك فإنهم – بلا شك – كانوا يفرقون بين ما يدل على القلة وما يدل على الكثرة فى لغتهم؛ فالعربى أعلم بلغته، " وأقدر على التصرف فيها من غير حاجة إلى معرفة تلك المصطلحات ، فالعربية لغته امتزجت بروحه ودمه، من غير أن يعلمه الخليل وسيبويه، وأضرابهما، وإن مثل هذين العالمين وغيرهما إنما أخذوا ما يعلمه العربى فيما يتصل بلغته ليعلموا به غير العرب أو ليعلموا العرب الذين فسدت لغتهم بمخالطة غيرهم(٢).

---

(١) الأغانى ج ٦ ص ١٨٧، ١٨٨ .

(٢) انظر: دراسات فى النقد الأدبى د/ بدوى طبانة ص ٦٥، والمقاييس البلاغية عند الجاحظ فـــى البيـــان والتبيـــين د/ فوزى السيد عبد ربه ص ٦٠ .

وأما ما أضيف إلى هذا النقد من تفصيلات علمية فيبدو أنه من صنيع المتأخرين أرادوا أن يفسروا به نقد النابغة، غير أن بعضهم لم يفرق بين أصل الرواية وما أضيف إليها [1]، ومنهم من فرق الأمرين، ومن ذلك ما رواه صاحب الموشح من تعليق الصولى على نقد النابغة بقوله " قال الصولى إن هذا النقد الجليل الذى يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره، قال له : أقللت أسيافك؛ لأنه قال " وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف . والجفنات لأدنى العدد، والكثير جفان ، وقال : فخرت بمن ولدت؛ لأنه قال : ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق، فتركَ الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه" [2].

فالمرزبانى – هنا – قد فرق بين أصل الرواية وتعليق الصولى عليها، أو تفسيره لها.

٢– روى أن علقمة الفحل كان ينازع امرأ القيس الشعر ، وكان صديقًا له ، فقال أحدهما لصاحبة : أيُّنا أشعر، فقال هذا : أنا ، وقال هذا : أنا، فتلاحيا، فقال امرؤ القيس: انعت ناقتك وفرسك، وأنعت ناقتى وفرسى، قال علقمة: فأفعل، والحكم بينى وبينك هذه المرأة من ورائك– يعنى أم جندب زوج امرئ القيس [3] – فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها:

---

(١) انظر: الأغانى ج ٨ ص ١٨٨.

(٢) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ص ٧٨.

(٣) انظر: الموشح ص ٣٦ .

خليلى مُرَّا بى على أم جندب

لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التى مطلعها :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب

ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم أنشداها جميعًا ، فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة

وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك ، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيًا من عنائه

يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره. فقال امرؤ القيس : ما هو بأشعر منى ولكنك له وامق، فطلقها، فخلفه عليها علقمة، فسمى علقمة الفحل[1]، ويقال : بل كان فى قومه رجل يقال له : علقمة الخصى، ففرقوا بينهما بهذا الاسم[2].

(١) الشعر والشعراء ص ١٣٠، وانظر: الموشح ص ٣٥، ٣٦ .

(٢) الشعر والشعراء ص ١٣٠، وانظر : الموشح ص ٣٥.

على أن لى على حكومة أم جندب ملحظين:

أحدهما : أن بعض الروايات تذكر أنهما احتكما إلى أم جندب فقالت لهما : قُولا شعرًا تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة [1].

فإن القافية والروى كاصطلاحين عروضيين لم يكونا قد عرفا فى عصر هذا النقد، مما يجعلنى أرجح أن هذه العبارة قد أضيفت إلى الرواية فى عصر متأخر، لعله – كما ذكر أستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود – عصر أبى عبيدة (٢٠٩هـ) أول من روى القصة .

ثانيهما : أن أم جندب – فيما يبدو – قد تأثرت ببغضها امرأ القيس – وكان مفركا[2]– فتحاملت عليه، أو أن التوفيق لم يحالفها فى نقدها، فقد قال امرؤ القيس :

فللسوط ألهوب وللساق درة

وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه

يمر كخذوف الوليـد المثقب

" فهذا البيت الثانى يدل على أن فرس امرئ القيس أدرك القطيع لم يجهد – أى لم يتعب –، ولمن يثن شأوه – أى لم يكرر شوطه – ، وإنما أدرك القطيع

(١) انظر : اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) مفركا : تبغضه النساء ، ولا يحظى عندها .

من أول حضر [1]، وهو لا يبلغ ذاك إلا إذا كان نشيطًا ذا سبح، فهو بهذا لا يقل عن فرس علقمة إن لم يفقه[2]، يضاف إلى ذلك أن الفرس مهما كان نشيطًا فإن الفارس المقدام لا يكون خاملاً على ظهره، إنما تكون له صولات وجولات، وزجر وصياح مما يروع الخصم ويربك الفريسة ويزيد الفرس حدة ونشاطا.

ثالثًا: الاستحسان والاستهجان:

فمن باب الاستحسان ما روى من أن النابغة الذبيانى قدم يثرب ، فدخل السوق، ونزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه ثم أنشأ يقول :

عرفت منازلا بعريتنات

فأعلى الجزع للحى المبن

قال حسان : فقلت هلك الشيخ ، ورأيته قد تبع قافية منكرة ، فما زال النابغة ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال : ألا رجل ينشد، فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه ، وأنشده قوله :

أتعرف رسمًا كاطراد المذاهب

فلم يزد قيس على نصف البيت حتى قال النابغة : أنت أشعر الناس

(١) الحضر : (بضم فسكون) عدو ذو وثب.

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٧٥.

قال حسان : فدخل فى نفسى منه ، وإنى لأجد القوة فى نفسى عليهما فتقدمت، وجلست بين يديه، فقال لى : أنشد ، فإنك لشاعر قبل أن تتكلم ، وكان يعرفنى قبل ذلك ، فلما أنشدته قال لى : أنت أشعر الناس [1].

فقد استحسن النابغة شعر قيس بن الخطيم واكتفى منه بالمطلع إذ أدرك " أنه استهلال يدل على شاعرية فائقة وذهنية بارعة، فمثل هذا الاستهلال يكشف عن معدن صاحبه، وسلامة معناه ولفظه، وربما كان التقدير أن سياق القصيدة متوال على هذا النسق فقضى لقيس بأنه أشعر الناس، أما الأمر مع حسان فمختلف، ونحن نستنتج من قول النابغة له أولا : (إنك لشاعر قبل أن تتكلم) ، وقوله له آخرًا : (إنك أشعر الناس) أن حسان أنشده شعرًا رفع قدره فى نظره، ونرجح أن حلول النابغة يثرب استوجب منه الوفاء بحق الاستضافة إن لم يكن دفعه إلى إيثار العافية والسلامة، وإذا صح هذا قلل من قيمة حكمه كناقد، وخاصة أنه جعل قيسًا وحسان على درجة سواء ، وإن كان هذا جائزا فى عرف من يقومون بتوزيع الجوائز فهم يكررونها "[2].

ومن هذا القبيل ما روى من أن الحطيئة سئل عن أشعر الناس فقال: أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعد الإقتار عدما ولكن

فقد من قد رزئته الإقتـــــار

---

(١) الأغانى ج٢ ص١٥٧ .

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص٤٢.

وسئل مرة أخرى فقال الذى يقول [1]:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

وليس الذى يقول :

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث أى الرجال المهذب

– بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين، وأما الباقون فلا شك أنى أشعرهم [2].

– ومن قبيل الاستحسان ما روى عن حسان بن ثابت من أنه كان عند النعمان بن المنذر ، فأقبل النابغة فاستأذن ، فقدم وهو يقول :

أنام أم يسمع رب القبه

يا أوهب الناس لعيسٍ صُلْـبَه

ضَرَّابة بالمِشْفَر الأذَّبه

ذات تجاف فى يديها حدبه[3]

فقال النعمان : أبو أمامة ، أدخلوه، فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

---

(١) هذا البيت لزهير، والذى يليه للنابغة.

(٢) العمدة ج١ ص ٩٦، ٩٧ .

(٣) المشفر : فى البعير كالشفة من الإنسان، وجمعه مشافر. الأذبة : جمع ذباب، وهو اسم يطلق على كثير من الحشرات المجنحة.

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث أى الرجال المهذب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها [1] وكلابها. قال حسان : فخرجت من عنده لا أدرى أكنت له أحسد على شعره أم على ما نال من جزيل عطائه [2]؟.

وأما الاستهجان فمنه :

١- ما روى من أن النابغة الذبيانى قال للنعمان بن المنذر :

تراك الأرض إما مت خفا

وتحيا إن حييت بها ثقيـــلا

فقال النعمان : هذا بيت إن أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان إلى الهجاء أقرب منه إلى المديح، فأراد النابغة ذلك فعسر عليه ، فقال : أجلنى . قال: قد أجلتك ثلاثا ، فإن أنت أتبعته ما يوضح معناه فلك مائة من العصافير نجائب، وإلا فضربة بالسيف أخذت منك ما أخذت، فأتى النابغة زهير ابن أبى سلمى، فأخبره الخبر، فقال زهير: اخرج بنا إلى البرية فإن الشعر برى، فخرجا، فتتبعهما كعب بن زهير – وإنه لغلام – ، فقال : يا عم أردفنى ، فصاح به أبوه، فقال النابغة : " دع ابن أخى يكون معنا، فأردفه، فتجاولا البيت مليًّا ، فلم يأتهما ما يريدان، فقال كعب: فما يمنعك أن تقول:

---

(١) المطافيل : جمع مطفل، وهى الناقة التى معها ولدها .

(٢) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ص ٦٢، ٦٣.

وذاك بأن حللت العز منها

فتمنع جانبيها أن يزولا

قال النابغة : جاء بها ورب الكعبة ، قد جعلت لك يا بن أخى ما جعل لى، قال كعب: وما جعل لك يا عم ؟ قال : جعل لى مائة من العصافير نجائب. قال : ما كنت لآخذ على شعرى صفدًا، فأتى النابغة النعمان بالبيت فأخذ مائة ناقة سوداء الحدقة(١).

فكلام النابغة يحتمل المدح والذم، وهذا ما يسميه علماء البلاغة التوجيه، ويعدونه من المحسنات البديعية(٢)، ولكن النعمان أراد أن يدخل كلام النابغة فى باب المدح الخالص دون احتمال للمعنى الآخر الذى لا يليق بمقام الملوك(٣).

٢. مر المسيب بن علس بمجلس بنى قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم:

ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

نحييك عن شحط وإن لم تكلم

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٥٨- ٥٩.

(٢) ومنه قول بشار :

خاط لى عمرو قباء ليت عينيه سواء

فهو يحتمل أن يكون دعاء بصحة العوراء، أو بعور الصحيحة ، ولذا قال بعده:

فاسأل الناس جميعًا أمديح أم هجاء

انظر : بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى ج٤ ص ٦٤.

(٣) انظر : المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبد ربه ص ٥٩.

فلما بلغ قوله :

وقد أتناسى الهم عند ادكاره

بناج عليه الصيعرية مكـــــدم[1]

قال طرفة – وكان صبيًّا – : استنوق الجمل [2]، " فطرفة أدرك بحاسته الأدبية أن الشاعر جافى منطق الأشياء وخلط، إذ وصف الجمل بسمة من سمات الناقة، ودفعته جرأة الصبى وسذاجته إلى أن يعلن ريبته فيما سمع " [3].

٣. يذكر الرواة أن النابغة الذبيانى أقوى فى داليته مرتين، وذلك فى قوله :

أمن آل مية رائح أو مغتـــــد

عجلان ذا زاد وغيـــر مــزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا

وبذاك خبرنا الغداف الأسود [4]

وقوله :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

فتناولته، واتقتنا باليـــــد [5]

---

(١) ادكاره : تذكره . ناج : بعير سريع، الصيعرية: علامة تكون فى عنق الناقة لا البعير، ومن هنا كان نقد طرفــة، مكدم : غليظ صلب قوى .

(٢) الموشح ص ٩٨.

(٣) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ / محمد السعدى فرهود ص ١٠٠.

(٤) البوارح : ما مر من الطير عن يمينك إلى يسارك، والسوانح عكس ذلك، وكانت العرب تتشاءم بالبوارح وتتيمن بالسوانح، انظر : اللسان ، مادة " برح " .

(٥) النصيف : كل ما غطى الرأس من خمار أو عمامة ونحو ذلك .

بمخضب رخص كأن بنانه

عنم يكاد من اللطافة يعقــد[1]

فقدم المدينة، فعيب عليه ذلك ، فلم يأبه له حتى أسمعوه إياه فى غناء، وقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلى، فلما غنته الجارية، فطن فلم يعد إلى ذلك ، وأصلح البيت الأول فجعله:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا

وبذاك تنعاب الغراب الأسود[2]

وأصلح البيت الآخر فجعله :

بمخضب رخص كأنه بنانه

عنم على أغصـــانه لم يعقد

وكان يقول : دخلت يثرب وفى شعرى شىء، وخرجت وأنا أشعر الناس[3].

٤- قال أبو عمر بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان: النابغة الذبيانى، وبشر بن أبى خازم، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره فلم يعد إلى أقواء ، وأما بشر فقال له أخوه سوادة إنك تقوى، فقال : وما الإقواء؟ قال قولك :

---

(١) العنم : (بفتحتين) شجر لين الأغصان يشبه به بنان الجوارى .

(٢) تنعاب الغراب : صوته وصياحه.

(٣) راجع فى ذلك : الأغانى ج ٩ ص ١٥٦، ١٥٧ وطبقات فحول الشعراء ج١ ص ٦٧، ٦٨، والشعر والـشعراء ص ٨٧، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٣، ٦٤ ، واتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الـدكتور/ محمـد الـسعدى فرهود ص ١٢٢، ١٢٣.

ألم تر أن طول الدهر يسلى

وينسى مثل ما نسيت جذام

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبغوا علينا

فسقناهم إلى البلـــد الشآم

ففطن بشر فلم يعد [1]

الاختيار أو الانتخاب :

وهو ثمرة من ثمرات الاستحسان، إذ يفطن المنتخب بذكائه وخبرته إلى أن أدبا ما أو أديبًا ما قد بلغ درجة من الحسن والجودة فصار بحيث ينبغى أن يشار إليه ، وأن يجعل فى صدر نوعه، وأنموذجًا لجنسه[2]**.**

ومن ذلك اختيارهم المعلقات استجادة واستحسانًا لها، قال صاحب العمدة: " وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره"[3]**.**

وقال صاحب العقد : " كان الشعر ديوان خاصة العرب، والمنظوم من كلامها، والمقيد لأيامها، والشاهد على أحكامها، حتى لقد بلغ من كلف العرب

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٦٨، والموشح للمزربانى ص ٧٥.

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٤٧.

(٣) العمدة ج١ ص ٩٦ .

به، وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة، فمنه يقال : مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير، والمذهبات سبع، وقد يقال لها : المعلقات"[1].

وقال البغدادى: " ومعنى المعلقة أن العرب كانت فى الجاهلية: يقول الرجل منهم الشعر فى أقصى الأرض فلا يعبأ به، ولا ينشده أحد حتى يأتى مكة فى موسم الحج، فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه روى وكان فخرًا لقائله، وعلق على ركن من أركان الكعبة، حتى ينظر إليه، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به " [2].

وسواء أكان التعليق حسيًّا كما تذكر هذه الروايات أم معنويًّا – كما يرى بعض النقاد – فإن الذى يعنينا فى هذا البحث هو اختيارهم هذه القصائد ، واستجادتهم إياها، وهو ما عبر عنه صاحب العمدة بقوله : " لأنها اختيرت من سائر الشعر" ، وصاحب العقد بقوله :" حتى لقد بلغ من كلف العرب به – يعنى الشعر – وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم" ، والبغدادى بقوله: " فإن استحسنوه روى وكان فخرًا لقائله ... وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ".

---

(١) العقد الفريد ج ٣، ص ٨٩.

(٢) خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٨٩ .

طبيعة النقد ومنهجه فى العصر الجاهلى :

يعد عرض ما مضى من نماذج نستخلص أهم النقاط التى تنبئ عن طبيعة النقد الجاهلى ومنهجه فنقول :

١- كان النقد فى هذا العصر نقدًا فطريًّا ذاتيًّا يعتمد على الذوق أكثر من اعتماده على أى شىء آخر، فهو - فى جملته - عبارة عن مجموعة من الآراء حول محاسن أو مساوئ الشعر والشعراء، تأتى فى الغالب معللة، وربما جاء بعضها معللا تعليلا موجزًا ينم عن وجهة نظر صاحبه.

٢. أن بعض الشعراء كانوا يتخذون من أنفسهم نقادًا لأشعارهم، فيتعهدونها بالتنقيح والتهذيب، فكان الشاعر منهم - كما قال الجاحظ[١] - : "يجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره، حتى يجنبوا أنفسهم وأشعارهم اللوم والمؤاخذة ".

٣. أن أحكامهم النقدية كثيرًا ما ترد عامة مطلقة، مثل قولهم : فلان أشعر الناس ، أو أشعر العرب، أو أشعر الجن والإنس، ونحو ذلك ، وربما أتت غامضة تحتاج إلى تفسير[٢]، فقد ذكر صاحب الموشح أن الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم ، وعبدة بن الطبيب، والمخبل السعدى احتكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدى، فى الشعر ، فقال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نيئًا فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر

---

(١) انظر: البيان والتبيين ج ٢ ص ٩.

(٢) انظر : محاضرات فى النقد الأدبى للأستاذ الدكتور / محمد عرفة المغربى ص ٢١.

يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليست تقطر ولا تمطر [1].

يريد الناقد أن يقول للزبرقان : شعرك ردىء، فشبهه بلحم أسخن وهو – كما فسره– ليس ناضجًا فيؤكل، ولا نيئًا فينتفع به ، وأما عمرو بن الأهتم فشعره – فى نظر الناقد – حسن المظهر، ولكن لا طائل من ورائه، فكلما أعيد فيه النظر نقص البصر، وأما عبدة فيرى الناقد أنه أحكم صنعته كمزادة أحكم خرزها، وأما المخبل فشعره قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم.

ونحو ذلك ما روى من أن هؤلاء الشعراء الأربعة – الزبرقان ، وعبدة، والمخبل، وعمرو بن الأهتم – اجتمعوا فى موضع فتناشدوا أشعارهم ، فقال عبدة: إما أن تخبرونى عن اشعاركم وإما أن أخبركم ، قالوا : أخبرنا . قال : فإنى أبدأ بنفسى، أما شعرى فمثل سقاء وكيع – وهو الشديد يصطنعه الرجل فلا يسرب عليه [2] – وغيره من الأسقية أوسع منه، وأما أنت يا زبرقان فإنك مررت بجزور منحورة فأخذت من أطايبها وأخابثها، وأما أنت يا مخبل فإن شعرك العلاط والعراض[3].

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٩٦ .

(٢) لا يسرب : لا يقطر.

(٣) العلاط: ميسم الإبل فى العنق ، العراض : سمة فى عرض الفخذ ، وانظر: الموشح للمرزبانى ص٩٧ علـــى أن الرواية لم تتعرض لشعر عمرو بن الأهتم، فربما أغفله الناقد أو غفل عنه الراوى .

على أنى أؤكد أن الإيهام والغموض من الأمور النسبية التى ترتبط بعصر النص وبيئته، ويدعم ذلك أن هؤلاء الشعراء لم يطلبوا من الناقد توضيح نقده أو تفسيره، مما يدل على أنهم استوعبوا ما قيل، إذ لم يكن غريبًا عليهم أو غامضًا عندهم.

٤. قوة الحاسة الأدبية والنقدية، فلم يكد النابغة يسمع نصف بيت من قيس بن الخطيم حتى يحكم له بأنه أشعر الناس، وما أن سمع طرفة بن العبد المسيب بن على يسم بعيره بالصيعرية حتى صاح – وهو صبى – استنوق الجمل، ويدعم ذلك ما روى من أن مهلهل بن ربيعة لما غدره عبداه، وقد كبرت سنه، وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات وطلب الثارات[1]، فأرادا قتله ، فقال : أوصيكما أن ترويا عنى بيت شعر، قالا : وما هو ؟ قال :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا

لله دركما ودر أبيكما

فلما زعم العبدان أنه مات قيل لهما : هل أوصى بشىء ؟ قالا: نعم ، وأنشدا البيت ، فقالت ابنته: عليكم بالعبدين فإنما قال أبى :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا

أمسى قتيلا بالفلاة مجندلا

(١) الثارات : جمع ثأر، ويجمع ثأر على أثأر ، وثأرات، وتسهل الهمزة ، فيقال : ثارات . انظر المعجم الوسيط : مادة (ثأر).

لله دركمـــا ودر أبيكمـــا

لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستقروا العبدين فأقرا أنهما قتلاه[1].

وأخيرًا يمكن أن أقرر – وباطمئنان – أن العقلية العربية فى العصر الجاهلى لم تكن جامدة إلى هذه الدرجة التى يتصورها أو يصورها بعض الكتاب ، إذ لو كانوا كما يزعم هؤلاء الكتاب لما تحداهم القرآن الكريم بإعجازه البيانى ، ونحن نعلم أن كل رسول أو نبى يؤيد بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه، فلو لم يكونوا على درجة عالية من البيان واللسن والفصاحة والتمييز لما تحداهم القرآن بهذا اللون من الإعجاز .

(١) العمدة ج١ ص ٣٠٨.

الفصل الثانى

النقد فى عصر صدر الإسلام

النقد فى عصر صدر الإسلام

موقف الإسلام من الشعر :

لم يقف الإسلام من الشعر موقف العداء ، أو المواجهة، إنما عمل على تقويمه وتهذيبه بما يتفق ومبادئ هذا الدين، فكما نهى عن الفحش من القول نهى عن الفاحش من الشعر ، وكما أباح الطيب من سائر الكلام أباح الطيب من الشعر، وقد روى ما يفيد أنه ﷺ كان ينظر إلى الشعر على أنه كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه، وأنه ﷺ استمع إليه، وأثاب بعض قائليه، وحث فى بعض المواقف على قوله، كما دعا فى بعض المواقف إلى إنشاده ، وسيأتى – بمشيئة الله – تفصيل ذلك فى المبحث التالى .

أما قوله تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [1]. **فواضح أنه لم يحرم الشعر ، إنما صنف الشعراء، فالحكم الأول على الشعراء نزل – على ما روى ابن عباس – فى شعراء المشركين عبد الله بن الزبعرى، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، ومسافع بن عبد مناف ، وأبى عزة الجمحى، وأمية بن أبى الصلت،**

(١) سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤-٢٢٧.

قالوا : نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يسمعون أشعارهم وأهاجيهم ، فنزلت فيهم الآية [1].

أما الاستثناء فنزل فى رهط من الأنصار كانوا ينافحون ويدافعون عن رسول الله ﷺ ، منهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة، وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ جاءوا إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقالوا: يا رسول الله ، لقد أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم [2].

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[3] فهو تنزيه للنبى ﷺ عن قول الشعر حتى لا يقال : إنه شاعر أو إن القرآن لون من ألوان الشعر، وإذا كان كفار قريش قد افتروا ذلك، ورموا به النبى ﷺ ظلمًا وبهتانًا، وهو من ذلك براء، فما بالكم لو كان النبى ﷺ شاعرًا؟ على أن نفى الشعر عن النبى ﷺ لا يغض من شأن الشعر، وإلا لكان فى أميته ﷺ غض من شأن القراءة والكتابة، وهذا ما لم يقل به أحد، بل إن النبى ﷺ جعل فداء بعض الأسرى فى غزوة بدر تعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة [4].

---

(١) روح المعانى للألوسى ج١٩ ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق ج١٩ ص ١٤٧.

(٣) سورة يس : الآية ٦٩.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٤.

وأما قوله ﷺ :" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يريه [(١)]. خير له من أن يمتلئ شعرًا "، فحمله الشافعى رحمه الله على الشعر المشتمل على الفحش ، وسمعت السيدة عائشة رضى الله عنها أن أبا هريرة يروى هذا الحديث فقالت: " رحم الله أبا هريرة ، إنما قال رسول الله ﷺ : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خيرًا له من أن يمتلئ شعرًا مما هجيت به " [(٢)].

وقيل : إنما المقصود بالذم هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغل عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن [(٣)].

يقول الإمام عبد القاهر فى الرد على من يكره الشعر : نعم ، وكيف رويت هذا الحديث ولهجت به، وتركت قوله ﷺ: " إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرًا؟ وكيف نسيت أمره ﷺ بقول الشعر، ووعده عليه الجنة، وقوله لحسان: " قل وروح القدس معك " ، وسماعه له، واستنشاده إياه، وعلمه ﷺ به، واستحسانه له، وارتياحه عند سماعه[(٤)].

فالسنة العملية توجب صرف الذم والتقبيح لنوع من الشعر يخالف صراحة الدين وتعاليمه، ويدعو إلى قيم الجاهلية ومثلها، وهذا هو المعنى الذى توحى به الآيات الكريمة فى سورة الشعراء [(٥)].

---

(١) يريه : يفسده.

(٢) راجع: روح المعانى للألوسى ، ج١٩ ص ١٥، " دلائل الإعجاز ص ١٦.

(٣) العمدة ج١ ص ٣٢.

(٤) دلائل الإعجاز ١٦، ١٧.

(٥) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء عبد المنعم جبر ج١ ص ٥٨.

النبى ﷺ ناقــدًا :

كان النبى ﷺ أفصح العرب كافة، يقول له الإمام على (كرم الله وجهه): يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه فمن علمك؟ فقال ﷺ :" أدبنى ربى فأحسن تأديبى " ، ويقول له الصديق ﷺ: لقد طفت فى العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فأجابه ﷺ بمثل ما أجاب به الإمام عليًّا.

ومن هنا نقول : إن النبى ﷺ كان أقدر العرب على تذوق الكلام ونقده، وسأعرض لك من النصوص ما يدعم هذا القول :

١. أتى النابغة الجعدى رسول الله ﷺ وأنشده قوله :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلـــــو كتــابًا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجـــدودنا

وإنا لنرجـــو فوق ذلك مظهرًا

فقال النبى ﷺ : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال : إلى الجنة يا رسول الله ، قال: أجل إن شاء الله ، ثم أنشده الجعدى قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له

بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله ﷺ : أجدت ، لا يفضض الله فاك، فبقى عمره لم تسقط له سن، وكان معمرًا [1].

٢. أنشد حسان قوله يرد على أبى سفيان بن الحارث :

هجوت محمدًا فأجبــت عنه

وعند الله فى ذاك الجزاء

فقال ﷺ : جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال حسان:

فإن أبى ووالـــــده وعرضى

لعرض محمد منكم وقاء

قال ﷺ : وقاك الله حر النار، فقضى له بالجنة مرتين فى ساعة واحدة [2].

٣. مر النبى ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول فى بعض أزقة مكة :

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبى ﷺ : يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا ، يا رسول الله ، ولكنه قال :

---

(١) انظر: الشعر والشعراء ص ١٨١ ، ودلائل الإعجاز ص ٢١، ٢٢، وجمهرة أشعار العرب ص٢٣.

(٢) العمدة ج١ ص ٥٣.

يا أيها الرجل المحول رحله

هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال ﷺ : هكذا كنا نسمعها[1].

وعندما قال عبد الله بن رواحة :

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم

فينا النـــبى وفينـــا تـــنزل السـور

وقـــــد علمتـــم بأنا ليس يغلبنا

حى مـن الناس إن عزوا إن كثروا

فلما انتهى إلى قوله فى النبى ﷺ :

فثبت الله ما أعطاك مـــن حسن

تثبيت موسى ونصرًا كالذى نصروا

أقبل عليه النبى ﷺ بوجهه، وقال : وإياك فثبت يابن رواحة[2]

٥. روى أن أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضى الله عنها أنشدت قول قيس بن معدان الكلبى:

" عدى وتيم تبتغى من تحالف[3].

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٢١، وانظر: الأمالى للقالى ، ج١ ص ٢٨٩، ٢٩٠ ، والشعر لمطرود بن كعب الخزاعـــى يرثى عبد المطلب جد النبى(ﷺ).

(٢) العمدة ج١ ص ٢١٠.

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره: ألا من رأى العبدين أو ذُكِرا له ؟ عدى وتيم...

فظنت عائشة وحفصة رضى الله عنهما أنها عرضت بهما، وجرى بينهن كلام فى هذا المعنى، إذ كان أبو بكر ﷺ من تيم قريش، وعمر ﷺ من عدى قريش ، فأخبر النبى ﷺ بذلك فدخل عليهن ، وقال : " يا ويلكن ، ليس فى عديكن ولا تيمكن قيل هذا " وإنما قيل هذا فى عدى تميم وتيم تميم"[1]. ألا تعجب من فطنته ﷺ ومعرفته دقائق الأخبار ؟!

٦. عن محمد بن سلمة الأنصارى قال : كنا يومًا عند النبى ﷺ فقال لحسان بن ثابت : أنشدنى قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله قد وضع عنا آثامها فى شعرها وروايته، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن علاثة يقول فيها:

علقم ما أنت إلى عامر

الناقض الأوتار والواتر ؟!

فقال النبى ﷺ : يا حسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة بعد مجلسك هذا، فقال : يا رسول الله ، تنهانى عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال النبى ﷺ: يا حسان، أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أبا سفيان عنى فتناول منى – وفى رواية فشعث منى – وإنه سأل هذا – يعنى علقمة بن علاثة – عنى فأحسن القول. فشكره رسول الله ﷺ على ذلك، وروى أن حسان

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص ٢٠.

قال – بعد أن سمع ما سمع من رسول الله ﷺ – : يا رسول الله . من نالتك يده وجب علينا شكره [1].

٧– لما سمع النبى ﷺ قول كعب بن زهير قبل إسلامه – يحذر أخاه بجيرا من اتباع الرسول ﷺ فيقول :

ألا من مبلغ عنـــى بجيرًا رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لك

سقاك بها المأمـــون كأسًا روية

فأنهلك المأمـــون منـــها وعلكا

ففارقت أسباب الهـــدى واتبعه

على أى شىء – ويب غيرك – دلكا

على خلق لم تلف أمـــا ولا أبا

عليه ولم تعرف عليـــه أخـــا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف

ولا قـــائل إمـا عثـرت لعًا لكا

فما سمع ﷺ قوله : " سقاك بها المأمون " قال : مأمون والله– فقد كانوا يسمون رسول الله ﷺ المأمون – ولما سمع قوله :

(١) المرجع السابق ص ١٩.

على خلق لم تلف أما ولا أبا ..... البيت

قال ﷺ : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه ، ثم قال : " من لقى منكم كعب ابن زهير فليقتله" .

ثم جاءه كعب تائبًا ، وأنشده قصيدته التى مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

متيـــــــم إثــرها لم يفد مكبـول

فلما انتهى إلى قوله:

إن الرسول لنـــور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

ألقى النبى ﷺ عليه بردة كان يلبسها[1]، ويروى أن النبى ﷺ أصلح البيت، إذ قال كعب: مهند من سيوف الهند . فقال ﷺ : من سيوف الله [2]، فأقام اللفظ والمعنى.

فلما وصل كعب إلى قوله فى وصف أصحاب النبى ﷺ :

فى فتية من قريش قال قائلهم

ببطن مكة لما أسلموا زولوا[3].

---

(١) راجع شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) انظر: محاضرات فى النقد الأدبى للأستاذ الدكتور/ محمد عرفة المغربى ص ٣٧.

(٣) زولو: انتقلوا من مكة إلى المدينة ، يعنى الأمر بالهجرة.

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف

عند اللقاء ولا ميل معازيل[1].

شم العرانين أبطال لبوسهم

من نسج داود فى الهيجا سرابيل [2]

لا يفرحون إذا زالت رماحهم

قومًا وليسوا مجـــازيعا إذا نيــلوا [3]

جعل النبى ﷺ ينظر إلى من كان بحضرته من قريش كأنه يومئ إليهم أن اسمعوا[4].

٨- روى أن الأعشى – ميمون بن قيس – خرج يريد النبى ، فقال شعرًا ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلته فقتلته، ولما أنشد – بالبناء للمجهول – شعره الذى يقول فيه :

فآليت لا أرثى لها من كلالة

ولا من حفـًا حتى تلاقى محمدًا

---

(١) الأنكاس: جمع نكس ، وهو الضعيف المهين ، الكشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس معه فى الحرب، الميل: جمع أميل، وهو الذى لا سيف معه، أو الذى لا يحسن الركوب، المعازيل: جمع معزال، وهو الذى لا سلاح معه.

(٢) الشم : جمع أشم، وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه. العرانين: جمع عرنين هو الأنف، والمـــراد أن فيهم استعلاء وأنفه.

السرابيل: جمع سربال، وهو الدرع أو كل ما يلبس فى الحرب.

(٣) مجازيع : جمع مجزاع، وهو الشديد الجزع.

(٤) انظر: شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٧٢.

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم

تفوزى وتلقى من فواضله يدا

قال النبى ﷺ : كاد ينجو ولما [1]، أى ولم يحصل له الفوز بالإسلام والنجاة.

٩. وفى كتاب الأغانى أن النبى ﷺ علق على شعر ثلاثة الأنصار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، فقال : " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى" [2].

وحقًا إن حسان يتقدم صاحبيه فى الشعر بصفة عامة ، فهو أشعر شعراء المدينة[3]، وفى هجاء أعداء الإسلام بصفى خاصة ، إذ بلغ فيه درجة جعلت الأعداء يرهبون لسانه، "ولقسوة هجائه استعاذ الحارث ابن عوف منه بالرسول ﷺ قائلا: يا محمد أنا عائذ بك من شعره فلو مزج البحر بشعره مزجه "[4].

١٠- وفى مجال الاستحسان كان ﷺ كثيرًا ما يقول : للسيدة عائشة رضي الله عنها : أبياتك، فتنشده :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه

يومًا فتـــدركه العواقب قد نما

---

(١) جمهرة أشعار العرب لابن زيد القرشى ص ٦٧.

(٢) الأغانى ج ٤ ص ٦.

(٣) انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج١ ص ٢١٥.

(٤) حسان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ص ٥٨، ط دار المعارف.

يجزيك أو يثنى عليك وإن من

أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فيقول ﷺ : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده: صنع إليك عبدى معروفًا فهل شكرته عليه؟ فيقول : يارب ،علمت أنه منك فشكرتك عليه" قال : فيقول الله عز وجل : لم تشكر نى ، إذ لم تشكر من أجربته على يده "[1].

وعندما سمع ﷺ قول قتيلة بنت النضر بن الحارث تبكى أباها، وتعتب على النبى ﷺ فى قتله ، فتقول :

يا راكبا إن الأثيـــل مظنة

من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتا بأن قصيـــدة

ما إن تزال بها الركائب تخفق

منى إليه ، وعبرة مسفوحة

جادت لمائحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر إن ناديته

أم كيف يسمع ميت لا ينطق؟

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص ١٩، ٢٠، وقد ذكر الشيخ محمود شاكر فى تحقيقه أن الحـــديث أخرجـــه الطبرانى فى المعجم الصغير ج١ ص ١٦٣.

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه

لله أرحام هنـاك تشقـــــق

قسرًا يقاد إلى المنيـــة متعبًا

رسف المقيد وهـــو عان موثق

أمحمد ها أنت نجل نجيـبة

من قومها والفــحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربمـا

من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة

وأحقهـــم إن كان عتق يعتق

قال ﷺ : لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه [1].

ولو ذهبت أعدد ما أُثِر عن النبى ﷺ من نظرات نقدية لطال بى المقال، فأكتفى بهذا القدر من نقده ﷺ على أمل دراسة هذا النقد دراسة تفصيلية فى مقام يسمح بذلك، وعزائى - هنا- هو أنى أنتقل من الحديث عن نقد الرسول ﷺ إلى الحديث عن نقد من تربوا على يديه، وتخرجوا فى مدرسته، وهم أصحابه وخلفاؤه، رضوان الله على الجميع.

الرؤية النقدية عند أصحاب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين:

(١) العمدة لابن رشيق ج١ ص٥٦، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٢٩، ٣٠.

من يطالع كتب الأدب والنقد، ويمعن النظر فيها يحظى بثروة نقدية عظيمة، تمثل وجهة أصحاب وخلفاء الرسول ﷺ، ويدرك أنهم أعطوا هذا الفن حقه، إذ كانوا " يفسحون فى مجال اهتماماتهم بقضايا الدين والدولة مكانًا لقضية الشعر والنقد" (١).

وكان أبرزهم فى هذا الميدان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فقد كان عالمًا بالشعر ، ناقدًا له ، كثيرًا ما يسأل عنه، أو يبدى فيه رأيًا ، أو ينشده، ويتمثل به، ومن آرائه النقدية:

(أ) فى مجال الاستحسان:

١. روى الجاحظ عن على بن مجاهد عن هشام بن عروة قال : سمع عمر ابن الخطاب ﷺ رجلا ينشد:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره

تجد خيـــر نار عندها خيـر موقد

فقال ﷺ ذاك رسول الله ﷺ(٢).

٢- قال ابن عباس رضى الله عنهما: قال عمر بن الخطاب ﷺ :

أنشدنى قول زهير. فأنشدته قوله فى هرم بن سنان:

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم

طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

(١) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء عبد المنعم جبر ص ٦١.

(٢) البيان والتبيين ج٢ ص ٢٩.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قـــــوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

فقال عمر : ما كان أحب إلى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله ﷺ[1].

٣. دخل متمم بن نويرة على عمر بن الخطاب ﷺ بعد استشهاد زيد بن الخطاب فى حروب الردة، فقال له عمر : أنشدنى فى بعض ما قلت فى أخيك، فأنشده قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفـــــرقنا كأنى ومالكا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معًا

فقال عمر: يا متمم لو كنت أقول الشعر لسرنى أن أقول فى زيد بن الخطاب مثل ما قلت فى أخيك ، فقال متمم: يا أمير المؤمنين لو قتل أخى قتلة أخيك ما قلت فيه شعرًا أبدا، فقال عمر: يا متمم ما عزانى أحد فى أخى بأحسن مما عزيتنى به [2].

ففى هذه النماذج تظهر فطنة عمر وإدراكه مواطن الجودة والإصابة فى كل من المديح والرثاء، ففى الأنموذج الأول لم يكد عمر يسمع البيت حتى

---

(١) انظر: تقديم الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى لكتاب نقد الـشعر " لقدامـة بـن جعفـر ص ٢٤، ٢٥، ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٠هـ سنة ١٩٨٠م الطبعة الأولى .

(٢) الشعر والشعراء ص٢١٤، ٢١٥.

أبدى رأيه، فذكر أن هذا المديح إنما ينطبق على رسول الله ﷺ فهو خير الخلق وأكرمهم، لذا فهو أحق بهذا المدح وأولى به، وما أن سمع بيتى زهير حتى تمنى أن لو كان هذان البيتان فى أهل بيت رسول الله ﷺ فهم أهل ذلك ، وهو بهم أشبه وأنسب.

ولما سمع شعر متمم استطابه لأنه شعر يعبر عن حالته هو، ويصور العلاقة بينه وبين أخيه حيًّا وميتًا، ولذا تمنى أن يكون هو صاحب الشعر وقائله [1].

ثم استطاب عمر ما عقب به متمم من ذكر الفرق بين قتل أخيه مالك وقتل زيد بن الخطاب، لأن هذا التعقيب لمس جراح عمر رضي الله عنه ، ولأنه أنموذج لما ينبغى أن يقال فى مثل هذه المناسبة، ولهذا ارتضى عمر قوله، وشكر له [2].

(ب) فى مجال اختيار الشعراء:

١ـ عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا تنشدنى لشاعر الشعراء؟ فقلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قلت: ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظل[3] بين الكلام، ولا يتبع حوشيه [4] ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه [5].

---

(١) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٠١.

(٣) يقال : عاظل بالكلام إذا عقده وصعبه، وعاظل فى شعره إذا جعل بعض أبياته مفتقرًا فى بيان معناه إلى بعض، وفى اللسان : لم يعاظل فى الكلام. أى لم يحمل بعضه على بعض ، ولم يتكلم بالرجيع من القول ، ولم يكرر اللفظ والمعنى .

(٤) حوشى الكلام : وحشيه وغريبه.

(٥) العمدة ج١ ص ٩٨، وانظر: جمهرة أشعار العرب ص ٥٧.

فعمر اهتم بأمرين فى شعر زهير : أولهما أسلوبه وصياغته حيث يأتى بالكلام سهلا لا تعقيد فى تراكيبه ولا حوشى فى ألفاظه، والأمر الآخر : صدقه الصدق الخلقى، حيث يمدح الرجل بما فيه ، ولا يفرط فى الثناء إفراطًا، ولا يغلو فى معانيه غلوًا [1].

وقد استحسن عمر الصدق لذاته، ولما فيه من مكارم الأخلاق، ولأنه لا يحسن فى صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح، لئلا يخرج الأمر إلى التنقص والازدراء .

٢. خرج عمر بن الخطاب ﷺ وببابه وفد غطفان، فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

حلفـــــــت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهـــــب

لئن كنـــت قد بُلِّـغت عنى سعاية

لمبلغك الواشى أغش وأكـــــذب

ولسـت بمستبق أخـــا لا تلـــمه

على شعث أى الرجال المهـــذب

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين. قال : فمن القائل :

خطاطيف حجن فى حبال متينة

تمد بها أيـــد إليـــــــك نوازع

(١) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٨٠.

فإنــك كالليل الذى هو مدركى

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فمن القائل :

إلى ابن محرق أعملت نفسى

وراحلتـــى وقد هــدأت عيون

فألفيت الأمانة لم يخنـــــها

كـــــذلك كـــان نـوح لا يخون

أتيتك عاريًا خلــقًا ثيابـــى

على خوف تظـــــن بى الظنون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فمن القائل :

إلاّ سليمان إذ قال المليك له :

قم فى البرية فاحددها عن الفند[1]

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين ، قال : هو أشعر شعرائكم [2].

وإذا كان عمر ﷺ قد حكم لزهير هناك والنابغة هنا – على شاكلة من يكررون الجوائز – فإن الأخبار والروايات التى بين أيدينا تدل على

(١) احددها: ازجرها وامنعها، الفند : الخطأ والظلم.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٦٠، ٦١.

أنه ﷺكان أكثر إعجابًا بشعر زهير بن أبى سلمى ، وقد أشاد به فى أكثر من موقف [1].

(ج) فيما يتعلق بفقه المعانى ومحاكمة الشعراء :

كان الحطيئة جارًا للزبرقان بن بدر فلم يحمد جواره، فتحول إلى بغيض ابن شماش فأكرم بغيض جواره، فقال يمدحه ويهجو الزبرقان:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا
ذا حاجة عاش فى مستوعر شاس [2]
جارًا لقوم أطالوا هـــون منزله
وغـــــادروه مقيـما بين أرماس [3]
ملوا قراه وهرته كلابهـــــــم
وجرحوه بأنيـــاب وأضـــــراس
دع المكارم لا تـــرحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فاستعدى عليه الزبرقان عمر ﷺ ، وأنشده آخر الأبيات، فقال له عمر: ما أعلمه هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيًا ، فقال الزبرقان: إنه لا يكون فى الهجاء أشد من هذا ، فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك:

---

(١) انظر العمدة ج١ ص ٥٥، ٨١، ٩٨. وجمهرة أشعار العرب ص ٥٧، ٥٨.

(٢) شاس : أصله شأس (بالهمزة) وخفف لضرورة الشعر ، وهو المكان الخشن والغليظ .

(٣) الأرماس : القبور.

فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه [١]. وروى أنه سأل لبيدًا فقال : ما يسرنى أنه لحقنى من هذا الشعر ما لحقه وأن لى حمر النعم[٢]، فأمر عمر بحبس الحطيئة ، وقال له : يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، وفى محبسه أخذ الحطيئة يعتذر إلى عمر ﷺ حتى رق له، وأطلق سراحه بعد أن أخذ عليه عهدًا ألا يهجو أحدًا من المسلمين ، ويروى أنه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم[٣].

ولم يكن هجاء الحطيئة خافيًا على عمر ولكنه أراد درء الحدود بالشبهات ، وأمام إصرار الزبرقان على موقفه أرسل عمر إلى حسان لإقامة الحجة على الحطيئة[٤].

٢. هجاء قيس بن عمرو بن مالك المعروف بالنجاشى بنى العجلان، فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال ﷺ ، وما قال فيكم ؟ فأنشدوه:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة

فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠٧.

(٢) الأغانى ج ٢ ص ٥٣.

(٣) الأغانى : الموضع السابق .

(٤) انظر طبقات فحول الشعراء ج١١٦، واتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٧٦، ٧٧.

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال : ليتنى من هؤلاء، أو قال: ليت آل الخطاب كانوا كذلك ، قالوا: فإنه قال :

ولا يردون المـــــــاء إلا عشية

إذا صدر الوراد عن كـــل منهل

فقال ﷺ ذلك أقل للسكاك – أى الزحام – ، قالوا : فإنه قال:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم

وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال : كفى ضياعًا من تأكل الكلاب لحمه، قالوا : فإنه قال :

وما سمى العجلان إلا لقـــولهم

خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا، فقال ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت فسأله ، فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشى، وقيل : إنه حده [1].

(١) العمدة ج ١ ص ٢٥، والشعر والشعراء ص ٢١٠.

وكان عمر ﷺ أبصر الناس بما قال النجاشى، ولكنه أراد – كما فعل فى هجاء الحطيئة الزبرقان – أن يدرأ الحدود بالشبهات " فالتمس فى كلا الشعرين – شعر الحطيئة وشعر النجاشى – البراءة وحسن النية، وجعل يستصفى المعانى التى أوجعت المهجوين، ليمتص غضبهم، حتى لا يحد الهجاة، ثم لم يشأ إلا أن يوجه المسلمين إلى ما فى دينهم من السماحة، وأنه ينبغى أن يهزموا روح الجاهلية فى نفوسهم ، ويقهروا الدوافع التى تبعثها، ومن أجل هذا وذاك جعل يؤول شعر الهجاء [1].

وأمام إصرار المهجوين استدعى عمر حسان فلما قال ما قال أنفذ عمر حكمه على الحطيئة والنجاشى،" كالمقلد من جهة الصناعة، ولم يكن حسان – على علمه بالشعر – أبصر من عمر ﷺ بوجه الحكم ، وإن اعتل بما اعتل به" [2].

وبإزاء عمر ﷺ أو بجانبه نرى نخبة من الصحابة برعوا فى هذا الميدان، منهم : عبد الله بن عباس، وكان عمر يستند فى بعض المواقف إلى رأيه، ويطمئن إليه، على نحو ما روى من أن عمر ﷺ كان جالسًا فى أصحابه يتذاكرون الشعر والشعراء، فيقول بعضهم : فلان أشعر ، ويقول آخر: بل فلان أشعر، فقيل له: ابن عباس بالباب، فقال عمر: قد أتى من يحدث من أشعر الناس؟ فلما سلم وجلس قال له عمر : يا ابن عباس ، من أشعر الناس ؟

---

(١) اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٧٦.

(٢) العمدة ج ١ ص٧٦.

قال : زهير يا أمير المؤمنين ، قال عمر: ولم ذلك؟ قال : لقوله يمدح هرمًا وقومه:

لو كان يقعد فوق الشعر من كرم

قوم بأولهم أو مجدهم قعـــــــدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم

طابوا وطاب من الأولاد من ولـدوا

جن إذا فزعوا ، إنس إذا أمنوا

مـــــــرزءون بهاليل إذا جهـــدوا (١)

محسدون على ما كان من نعم

لا ينزع الله عنـــــهم ما به حســدوا

فقال عمر : صدقت يا ابن عباس(٢).

وقد رأينا عمر ﷺ يرسل إلى حسان، ويحكمه ، وينزل عند رأيه، ورأينا بنى العجلان يطلبون إلى عمر أن يحكم حسان فيما هجوا به من شعر النجاشى مما يدل على مكانة حسان وعلو منزلته فى هذا الفن.

---

(١) مرزءون : كرام بهاليل : جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير .

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٥٧، ٥٨.

وبجانب هؤلاء نرى مجموعة من الآراء النقدية لأبى بكر الصديق [١]، والإمام على[٢]، والحطيئة [٣]، ولبيد[٤]، والنابغة الجعدى[٥]، وعمرو بن العاص [٦]، والحسين بن على [٧]، والسيدة عائشة رضى الله عنها [٨]، وغيرهم مما لا يحتمل هذا المقام استقصاءه أو تناوله ، فلنكتف بما ذكر وننتقل إلى الحديث عن طبيعة النقد فى هذا العصر، وما طرأ عليه من مقاييس دينية وخلقية.

طبيعة النقد وما طرأ عليه من مقاييس فى عصر صدر الإسلام:

يمكن – بعد عرض ما مضى من نماذج – أن نخلص إلى الآتى :

١. أن الإسلام وجه الأدب والنقد وجهة دينية وخلقية، فما وافق منهج الإسلام وتعاليمه، وسار على هديه، يدعو للفضيلة ، وينتصر للأخلاق والمثل العليا – فهو موضع الثناء والتقدير .

أما ما يخالف تعاليم الإسلام من الدعوة إلى الخمر والمجون، والغزل الماجن ، والهجاء المقذع ، والمديح الزائف– فهو الساقط المستقبح الذى

---

(١) انظر : العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٩٥.

(٢) انظر : المرجع السابق ج ١ ص ٤١، ٤٢.

(٣) انظر : المرجع السابق ج ١ ص ٩٦–٩٧، ج٢ ص ١٣٩، والشعر والشعراء ص ٢٠١.

(٤) انظر: العمدة ج١ ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق ج٢ ص ١٧٥.

(٦) المرجع السابق ج١ ص ٢٤٣.

(٧) المرجع السابق ج٢ ص ١٧٢.

(٨) جمهرة أشعار العرب ص ٦٩.

يقول فيه رسولنا ﷺ : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرًا " [١].

وهذا كعب بن مالك ينشد الرسول ﷺحتى ينتهى إلى قوله :

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة

مذربة فيها القوانس تلمع [٢].

فيقول له الرسول ﷺ : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال ﷺ : فهو أحسن ، فقال كعب : مجالدنا عن ديننا [٣]، فقد أراد النبى ﷺ أن يصرفه عن العصبية القبلية إلى الحمية للدين ، والذود عن حوضه، لأنه الأولى بالدفاع [٤].

٢. وجه الإسلام الأدباء والنقاد إلى مراعاة السهولة والوضوح، والبعد عن التكلف والتقعر، وتجنب الغريب والحوشى،" وقضى على سجع الكهان، وبذلك ارتفعت منزلة النثر بتخليصه من مظاهر التكليف والاعتساف، وليس أدل على ذلك من إنكاره ﷺ قول من قال : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح واستهل ، ومثل ذلك دمه يطل ؟ فقال ﷺ : " أسجعًا كسجع

---

(١) انظر: المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبد ربه ص ٧٢، ٧٣.

(٢) جذمنا : أصلنا ، أو أهلنا وعشيرتنا. فخمة : كتيبة عظيمة ، المذربة : الماضية النافـذة، ويـروى المدربـة: أى المتعودة على القتال الماهرة فيه .

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٠١، ١٠٢.

(٤) انظر : محاضرات فى النقد الأدبى للأستاذ الدكتور/ محمد عرفة المغربى ص٣٩.

الكهان " [1]، وفى ذلك رد على من يرى أن النقد فى هذا العصر لم يتناول النثر ولم يعرض له [2].

٣. وسع القرآن الكريم والحديث الشريف مدارك العرب العقلية والفكرية ، فخطا النقد إلى الإمام ، إذ اتسعت دائرته ، وصار أكثر دقة وفنية منه فى العصر الجاهلى ، ومن هذه اللمسات الفنية ما روى من تعليل عمر بن الخطاب ﷺ فى تقديم زهير بن أبى سلمى [3]، وما روى عن أنه ﷺ قال للحطيئة : إياك والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبنى شعرًا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم، فقال : أنت – والله – يا أمير المؤمنين أعلم منى بمذاهب الشعر، ولكن حبانى هؤلاء فمدحتهم، وحرمنى هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئًا، وصرفت مدحى إلى من أراده، ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه، يريد بذلك قصيدته المهموزة التى يقول فيها:

وآنيت العشاء إلى سهيل

أو الشعرى فطال بى الإناء

---

(١) انظر: الأدب الإسلامى فى عصره الأول للأستاذ الدكتور/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص ٢٩.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربى للأستاذ / عمر فروخ ج١ ص ٢٥٧.

(٣) راجع ص ٥٥.

وهى أخبث ما صنع ، وفيها أو من أجلها قال خلف الأحمر: أشد الهجاء أعفه وأصدقه، وقال مرة أخرى : ما عف لفظه وصدق معناه [1].

ومن هذه اللمسات ما روى من توجيه الإمام على ﷺ إلى وضع البيئة الزمانية والمكانية موضع الاعتبار عند النقد أو المفاضلة، فقال: " لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معًا علمنا من السابق منهم، وإذا لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة، فقيل: ومن هو ؟ فقال : الكندى – يريد امرأ القيس– قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة [2].

وإذا كان الإسلام قد أحدث تغييرًا مماثلاً فى مقاييسهم الأدبية والنقدية " فصارت على أساس المقاييس والضوابط التى هذبها الإسلام ، وأوضحها القرآن الكريم فى معانيه وألفاظه ونظمه وأسلوبه " [3].

---

(١) العمدة ج ١ ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) العمدة ج ١ ص ٤١، ٤٢.

(٣) المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين للأستاذ الدكتور / فوزى السيد عبد ربه ص ٧٣ بتصرف.

الفصل الثالث

النقد فى العصر الأموى

النقد فى العصر الأموى

عوامل ازدهاره :

(أ) تشجيع الخلفاء والأمراء والولاة .

تغيرت ظروف الحياة فى العصر الأموى، إذ تحولت الخلافة من خلافة راشدة يتولاها أكثر المسلمين كفاية، وأقدرهم على القيام بتبعاتها إلى ملك عضود يتوارثه أفراد البيت الأموى تحت مسمى الخلافة.

وقد تدفقت الأموال على خلفاء هذا البيت، وأصبح فى مقدور الخليفة أن يعطى ما يشاء، وبما أن هؤلاء الخلفاء كانوا عربًا خلصا يحسنون تذوق الشعر ونقده، ويعرفون له دوره ومكانه – فقد عملوا على تقريب الشعراء ، وأحسنوا إليهم، فالتاريخ الأدبى يمدنا بأسماء عدد كبير من الشعراء الذين كانوا منقطعين أو كالمنقطعين إلى بنى أمية من أمثال : الأخطل التغلبى، وعبد الله ابن الزبير الأسدى، والمتوكل الليثى، وعبد الله بن همام السلولى، وأبى العباس الأعمى، وأبى صخر الهذلى ، ونصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، وعدى بن الرقاع وغيرهم[1].

وقد تبع هذه الحركة الأدبية حركة نقدية قوية، وكان من بين خلفاء بنى أمية وولاتهم من يتصدى لنقد الشعر والحكم بين الشعراء، من أمثال : عبد الملك بن مروان ، وسليمان بن عبد الملك، والحجاج الثقفى وغيرهم.

---

(١) انظر : العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف ص ٣٣٦ وما بعدها، واتجاهات الشعر فى العصر الأموى د/ صلاح الدين الهادى ص ١٣١، ١٣٢.

ومن أمثلة ذلك :

١. اجتمع جرير والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر عبد الملك كيسًا فيه خمسمائة دينار، وقال : ليقل كل منكم بيتًا فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فقال الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جربى

وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل :

فإن تك زق زملة فإنى

أنا الطاعون ليس له دواء (١)

فقال جرير :

أنا الموت الذى آتى عليكم

فليس لهارب منى نجاة

فقال عبد الملك لجرير : خذ الكيس ، فلعمرى إن الموت يأتى على كل شىء(٢).

٧- دخل جرير على عبد الملك بن مروان ، فأنشده قوله :

أتصحو أم فؤادك غير صاح

عشية هم صحبك بالرواح

---

(١) الزق : السقاء أو الوعاء من الجلد، الزاملة: مؤنث الزامل، وهو ما يحمل عليه من الإبل وغيرها.

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٦٩.

فقال عبد الملك : بل فؤادك[1]. لما انتهى جرير إلى قوله :

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

جعل عبد الملك يقول : نحن كذلك، ردها على، فأخذ جرير يرددها، والخليفة يطرب لذلك ويقول : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت، وأمر له بمائة من الإبل [2].

٣. دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك – وسليمان ولى عهد – فوجد عنده نصيبًا مولى عبد العزيز بن مروان ، فقال سليمان: أنشدنا يا أبا فراس – وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه به – فأنشده قوله :

وركب كأن الريح تطلب عندهم

لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهى تلفهم

إلى شعب الأكوار ذات الحقائب

إذا استوضحوا نارًا يقولون ليتها

– وقد حصرت أيديهم– نار غالب

---

(١) لم يخف على عبد الملك أن الشاعر يخاطب نفسه، ولكنه استقبح مثل هذا الاستهلال.

(٢) انظر: ذيل الآمالى ص ٥٠، واتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهـود، ص٦٤.

فغضب سليمان، وقال لنصيب : أنشد مولاك يا نصيب ، فأنشده قوله :

أقول لركب قافلـــين لقيتهـــم
قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى
لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله
ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان : أحسنت[1]، ثم قال : يا غلام، أعط نصيبًا خمسمائة دينار، وألحق الفرزدق بنار أبيه [2].

وكتب الأدب مليئة بالنماذج التى تدل – بوضوح – على أن الخلفاء والأمراء والولاة فى هذا العصر كانوا يتعهدون الشعر والشعراء بالعناية والاهتمام، وأن مجالسهم قد ازدانت بالأدب والأدباء، مما كان له أثر كبير فى ازدهار الأدب والنقد على حد سواء [3].

(ب) نشأة الأحزاب وتعدد الفرق :

كان للأحزاب والفرق التى نشأت بزوغ شمس بنى أمية، ثم كثرت وتعددت إبان حكمهم أثر كبير فى نهضة الأدب والنقد؛ فقد كان الشعر وقود

(١) الشعر والشعراء ص ٢٦٥، ٢٦٦.
(٢) العمدة ج ١ ص ٧٣ ،٧٤.
(٣) انظر : المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين أ . د / فوزى السيد عبد ربه ، ص٨٢.

الفتن التى اشتعلت، ولسان الأحزاب التى تصارعت، " وكان لكل فرقة أو طائفة شعراؤها وخطباؤها الذين ينتصرون لها، ويدافعون عنها، ويكيلون لأعدائها من الطوائف الأخرى الهجاء المر والمثالب الفاحشة[1]، فإذا ما دارت الدائرة على حزب من الأحزاب فإن شعراءه كانوا ينقسمون قسمين :

قسم يظل وفيًّا لحزبه، يبكى على أطلاله ، محاولا أو متمنيًا استعادة مجده، والقسم الآخر يتحول إلى الحزب الحاكم رغبة أو رهبة على نحو ما كان من عبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين الذى كان منقطعًا إلى مصعب بن الزبير .

فلما قتل مصعب شفعوا لابن قيس عند عبد الملك بن مروان، فلما أنشده قوله :

يأتلق التاج فوق مفرقـــه

على جبين كأنه الذهب

قال عبد الملك : ألى تقول هذا؟ ولمصعب تقول :

إنما مصعب شهاب من الله

تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيـــه

جبـــروت منه ولا كبرياء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم، وأعطيتنى من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى

(١) المرجع السابق ص ٨٢ .

النضارة[1]. ووجه عتب عبد الملك – كما قال قدامة – إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية – التى هى : العقل والعفة والعدل والشجاعة – إلى ما يليق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة، وهذا عيب من عيوب المديح[2].

ومن الحق والإنصاف أن نقول : " إن ابن قيس الرقيات كان فى مدحيته منطقيًا مع نفسه ومبدئه، فتجربته شخصية لم يفتعلها ، ولم يشأ أن يشوه طبيعتها" [3].

وقد حدث نحو ذلك بين عبد الملك وكثير عزة الشاعر الشيعى[4]. فكان لذلك كله أثر واضح فى إذكاء الحركة الأدبية والنقدية .

(ج) مجالس الأدب والنقد :

لم تكن المجالس الأدبية والنقدية فى العصر الأموى محصورة فى قصور الخلفاء والولاة، فقد انتشرت فى الشام والعراق والحجاز، واشتهر من بين هذه المجالس مجلس سكينة بنت الحسين، ومجلس عقيلة بنت عقيل بن أبى طالب، كما كان للشعراء مجالسهم التى يتذاكرون فيها الأشعار، " ويعلق بعضهم

---

(١) انظر : الصناعتين ص ١٠٤ ، ونصوص نقدية لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٨٤.

(٣) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٦٢.

(٤) راجع الموشح ص ١٩٥– ١٩٧.

على شعر بعض تعليقات تتجاوز المعانى إلى نقد الصور والتشبيهات"[1]. وقد أثمرت هذه المجالس ثروة نقدية هائلة تزخر بها كتب الأدب والنقد، منها:

١. كانت عقيلة بنت عقيل بن أبى طالب تجلس للناس، فبينا هى جالسة إذ قيل لها : العذرى – جميل بن معمر – بالباب ، فقالت : ائذنوا له، فدخل ، فقالت له: أأنت القائل :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها

ولكن طلابيها لما فات من عقلى

إنما تطلبها عند ذهاب عقلك ، لولا أبيات بلغتنى عنك ما أذنت لك، هى :

علقت الهوى منها وليدًا فلم يزل

إلى اليـــوم ينمى حبها ويزيد

فلا أنا مردود بمـــا جئت طالبا

ولا حبـــها فيـــما يبيد يبـــيد

يموت الهوى من إذا ما لقيـتها

ويحيـــــى إذا فـــارقتها فيعود

ثم قيل لها: هذا كثير عزة والأحوص بالباب، فقالت: ائذنوا لهما، ثم أقبلت على الأحوص فقالت : وأما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاء فى قولك:

(١) معالم على طريق النقد القديم د/ رجاء عبد المنعم جبر ص ٦٧، ٩٨.

من عاشقين تراسلا فتواعدا

ليلا إذا نجـــــم الثـريا حلقا

بعثا أمامهمـــــا مخافة رقبة

عبدًا ففـــــرق عنهما ما أشفقا

باتا بأنعم ليلـــــة وألـــذها

حتى إذا وضح الصباح تفرقا

ألا قلت : تعانقا ، أما والله لولا بيت قلته ما أذنت لك ، وهو:

كم من دنى لها قد صرت أتبعه

ولو صحا القلب عنها صار لى تبعا

وأما كثير فأمرت جواريها أن يكتفنه، وقالت له : يا فاسق، أنت القائل:

أ إن زم أ جمال وفارق جيرة

وصاح غراب البين أنت حزين

أين الحزن إلا عند هذا ؟! خرقن ثوبه يا جوارى، فقال جعلنى الله فداءك ، إنى قد أعقبت بما هو أحسن من هذا، ثم أنشدها:

أأزمعت بينا عاجلا وتركتنى

كئيبًا سقيمًا جـــالسًا أتلـدد[1]

(١) أتلدد : أتفلت يميناً وشمالا متحيرًا.

وبين التراقى واللهاة حرارة

مكان الشجا ما تطمئن فتبرد

فقالت : خلين عنه يا جوارى، وأمرت له بمائة دينار وحلة يمانية، فقبضها وانصرف[1].

٢. جاء جرير بن عطية بن الخطفى إلى باب سكينة بنت الحسين يستأذن فى الدخول عليها ، فلم تأذن له ، وأرسلت إليه جارية تقول له : سيدتى تقول لك: أأنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجعى بسلام

قال : نعم ، فقالت : تقول لك مولاتى: ما أحسنت ولا سلكت طريقة الشعراء. أيكون وقت لا تصلح فيه زيارة الحبيب؟ ألا رحبت وقربت وقلت: فادخلى بسلام[2]، وفى رواية : هلا أخذت بيديها فرحبت بها، وأدنيت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها، أنت عفيف، وفيك ضعف[3].

٣. قال السائب بن ذكوان راوية كثير، قال لى كثير عزة يومًا: اذهب بنا إلى ابن أبى عتيق نتحدث عنده، فذهبنا إليه فاستنشده ابن أبى عتيق فأنشده:

---

(١) الموشح ص ٢١٤، ٢١٥ بتصرف .

(٢) الموشح ص ٢٢٢.

(٣) الأغانى ج ٥ ص ٥٠.

أبائنة سعدى نعـــــم ستبين

كما انبت من حبل القرين قرين

حتى بلغ قوله :

وأخلفن ميعادى وخن أمانتى

وليس لمـــن خان الأمانة دين

فقال ابن أبى عتيق : يا ابن أبى جمعة، وعلى الديانة تبعتها؟ فأنشده كثير:

كذبن صفاء الود يوم محـله

وأدركنى من وعدهن رهون

فقال ابن أبى عتيق : ذاك – والله – أصلح لهن، وأدعى للقلوب إليهن، كان عبيد الله بن قيس الرقيات أعلم بهن منك، وأوضع للصواب مواضعه فيهن، حيث يقول:

حب هذا الـــــدل والغنـج

والتى فـــى طرفـــها دعـج

والتى إن حـــــدثت كذبت

والتى لـــى وعـــدها خلج [1]

(١) خلج: اضطرب.

فسكن كثير واستحلى هذا الشعر [١].

(د) الأسواق الأدبية :

أدت الأسواق الأدبية التى كانت تعقد فى العصرين الجاهلى والإسلامى دورًا هامًّا فى النشاط الأدبى والعمل على إجادته، والبحث عن الوسائل التى ترقى بها الأعمال الأدبية [٢].

وقد استمر نشاط الأسواق الأدبية فى العصر الأموى، وازداد عمقًا وشمولاً واتساعًا، فقامت سوق المربد بالبصرة، وسوق الكناسة بالكوفة بدور فعال فى نهضة الأدب والنقد، وكانا ميدانًا فسيحًا يلتقى فيه الأدباء والنقاد[٣]، مما أثمر الكثير من الملاحظات النقدية، منها :

١. قال الأصمعى : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : لقيت الفرزدق فى المربد، فقلت: يا أبا فراس، أحدثت شيئًا ، فقال الفرزدق: خذ ، ثم أنشدنى:

كم دون مية من مستعمل قذف

ومن فلاة بها تستودع العيس [٤]

قال أبو عمرو : فقلت : سبحان الله ! هذا للمتلمس. فقال : أكتمها فلضوال الشعر أحب إلى من ضوال الإبل [٥].

---

(١) الموشح ص ٢٠٢، وانظر: اتجاهات النقد الأدبى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٨٤، ٨٥.

(٢) المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبد ربه ص ٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٨٨.

(٤) مستعمل قذف : طريق بعيد.

(٥) الموشح للمرزبانى ص ١٥٣ ،١٥٤.

٢. كان ذو الرمة ينشد إحدى قصائده بالكناسة، فلما بلغ قوله :

إذا غير النأى المحبين لم يكد

رسيس الهوى من حب مية يبرح [١]

صاح به ابن شبرمة. يا ذا الرمة، أراه قد برح، فأخذ ذو الرمة يفكر ، ثم عاد فأنشد :

إذا غير النأى المحبين لم أجد

رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال غيلان بن الحكم – راوى الخبر – فذهبت إلى أبى الحكم بن البحترى بن المختار فأخبرته الخبر، فقال : أخطأ بن شبرمة حيث أنكر عليه، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله ، إنما هذا كقوله تعالى ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا .... ﴾ [٢]، أى : لم يرها ولم يكد [٣]. وهذا ما يؤكده المحققون، إذ يرون أن الذى يقتضيه " لم يكد" ، و" ما كاد يفعل " هو أن الفعل لم يكن من أصله، ولا قارب أن يكون ، ولا ظن أنه يكون[٤].

---

(١) رسيس الهوى: أثره وبقيته.

(٢) سورة النور : آية ٤٠.

(٣) الموشح للمرزبانى ص ٢٣٥.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر ص ٢٧٥ ، تحقيق الشيخ محمد شاكر، وروح المعانى للألوسى ص ١٨٠ ، ١٨٣.

(و) ازدهار فن النقائض:

كان لشيوع وازدهار فن النقائض فى العصر الأموى أثر كبير فى نهضة النقد، فإنها تقوم على مراجعة ما قيل من الشعر فى معنى من المعانى ثم نقضه بشعر آخر أبلغ وأسير[1]، مما يجعل المنشئ يفكر وينقح كثيرًا قبل أن يخرج شعره إلى الناس، حتى لا يتعرض لشىء من النقض، يدعم ذلك ما روى من أن الفرزدق أخذته الحمية فى مجلس عبد الملك فقال : النوار طالق ثلاثًا إن لم أقل شعرًا لا يستطيع هذا – وأشار إلى جرير – أن ينقضه أبدًا، ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبًا، قال عبد الملك: وما هو ؟ قال الفرزدق:

فإنى أنا الموت الذى هو واقع

بنفسك فانظـــر كيف أنت مزاوله؟

وما أحـــد يا ابن الأنان بوائل

من الموت إن الموت لا شك نائله[2].

فأطرق جرير قليلاً ، ثم قال : أم حزرة طالق ثلاثا إن لم أكن نقضته وزدت عليه، فقال عبد الملك : هات ، فوالله لقد طلق أحدكم لا محالة ، فأنشد جرير :

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس

بكفيك يا ابن القين هل أنت نائلة؟

---

(١) انظر: محاضرات فى النقد الأدبى للأستاذ الدكتور/ محمد عرفة المغربى ص ٤٢.

(٢) بوائل : بناج .

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد

فجئنى بمثل الدهر شيئًا يطاوله

فقال عبد الملك: فضلك – والله – يا أبا فراس وطلق عليك، فبانت النوار من الفرزدق، وندم عليها ندمًا شديدًا[1].

وقد أكثر النقاد حديثهم عن النقائض وشعرائها، كل يريد أن يدلى بدلوه فى هذا الفن الشعرى الذى فشا أمره وذاع صيته، وكان الشعراء أنفسهم يشاركون فى هذا النقد، فكان جرير يقول : النصرانى- يريد الأخطل- أنعتنا للخمر والحمر[2]، وأمدحنا للملوك، وأنا مدينة الشعر . وسئل الأخطل: أيكم أشعر؟ فقال : أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا، وقال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما

حلــو القريــض ومــره لجريــر

وكان الفرزدق يقول : ما أحوج ابن المراغة مع عفته إلى صلابة شعرى، وما أحوجنى إلى رقة شعره لما ترون[3]، وسمع الراعى النميرى إنسانًا يتغنى – على قعود له – بقول جرير :

---

(١) انظر: الأغانى ج١٩ ص ٣٢، واتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٦٩.

(٢) الحمر (بضم الحاء فسكون الميم) النساء .

(٣) لما ترون : أى لما يرون من هيامه بهن، وكان الفرزدق زير نساء .

وعاو عوى من غير شىء رميته

بقافية أنفاذها تقطــر الدمــا

خروج بأفـــواه الــرواة كأنها

قرى هندوانى إذا هز صمما

فقال : لمن هذا ؟ قيل : لجرير ، فقال الراعى: لعنة الله على من يلومنى أن يغلبنى مثل هذا [1].

(و) نشأة بعض العلوم العربية :

وضعت فى عصر بنى أمية نواة بعض العلوم العربية كعلمى النحو واللغة [2]، ونال علم النحو اهتمامًا خاصًّا، إذ كانوا يخشون أن يتسرب اللحن إلى لغة القرآن ، " فهب العلماء لا يلوون على شىء منكمشين فى تدوينه ، فكان يسير بخطى فسيحة تبشر بالأمل القوى العاجل حتى نضح ودنا جناه، فتم وضعه فى العصر الأموى، دون سائر العلوم اللسانية " [3].

وقد أخذ بعض النحاة يتعقبون الشعراء، ويبرزون ما وقعوا فيه من مخالفات لغوية، فنشأ لون جديد من ألوان النقد هو النقد اللغوى، وسيأتى الحديث عنه فى المبحث التالى.

---

(١) انظر : الشعر والشعراء ص ٣١١.

(٢) انظر : المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين أ . د / فوزى السيد عبد ربه ص ٩٤.

(٣) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى ص ٢٥.

اتجاهات النقد فى العصر الأموى :

تعددت اتجاهات النقد فى هذا العصر غير أنها – فى جملتها – ترجع إلى اتجاهين أساسيين ، هما :

(أ) الاتجاه الأدبى.

(ب) الاتجاه اللغوى.

أولاً : الاتجاه الأدبى :

وقد تعددت جوانب هذا الاتجاه ، فشملت الاستحسان والاستهجان، والحكم بين الشعراء، والموازنة بين المعانى ، ونقد المذهب الشعرى ، وغير ذلك من اللمسات النقدية والفنية. وفيما يلى عرض لبعض نماذج هذا الاتجاه:

(أ) فمن قبيل الاستحسان ما روى أن عبد الملك بن مروان كان يقول : ما يسرنى أن أحدًا من العرب ولدنى ممن لم يلدنى إلا عروة بن الورد، لقوله [1]:

وإنى امرؤ عافى إنائى شركــة

وأنــت امــرؤ عافــى إنــائك واحد[2]

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى

بجسمى شحوب الحق والحق جاهد [3]

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣١٥، والأغانى ج ٢ ص ١٨٢.

(٢) رواية الديوان ص ٢٩، إنى بدون واو، وعلى ذلك يكون البيت مخرومًا: إذ صارت " فعولن" فى أول المــصراع " عولن " بإسقاط أول الوتد المجموع ، وأراد بقوله : " عافى إنائك واحد" أنه يأكل وحده.

(٣) شحوب الجسم: هزاله وتغيره، وإضافة الشحوب إلى الحق من إضافة الشىء إلى سببه.

أفرق جسمى فى جسوم كثيرة

وأحســـو قــراح الماء والماء بــارد[1]

ومن قبيل الاستهجان ما روى عن أبى عبيدة أنه قال : أنشد ذو الرمة بلال بن أبى بردة قصيدة يمدحه بها، فلما بلغ قوله :

رأيت الناس ينتجعـــون غيثًا

فقلت لصيــدح انتجعى بلالا[2]

قال بلال: أعلف ناقته ، فإنه لا يحسن أن يمدح[3].

ومنه ما روى من أن أرطأة بن سهية دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال عبد الملك : هل تقول اليوم شعرًا ؟ فقال : كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب؟ وإنما يكون الشعر على هذا ، وأنا الذى أقول :

رأيت المرء تأكله الليــالى

كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبقى المنية حين تأتى

على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنهــا ستكــر حتى

توفـــى نذرهــا بأبى الوليد

(١) حسا الماء : شربه شيئًا بعد شىء . القراح : الخالص الذى لا يخالطه لبن ولا غيره .

(٢) صيدح: اسم ناقته.

(٣) الموشح للمرزبانى ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ففزع عبد الملك- وكان يكنى بأبى الوليد – فقال أرطأة : لم أعنك، إنما عنيت نفسى ، فقال عبد الملك: وأنا أيضًا [1].

وقد كره الحذاق أن يخاطب الملوك بمثل هذا، إذ هو مما ينغص عليهم أوقات لذاتهم[2]، وروى عن بعض الملوك أنه قال : ما لهؤلاء الشعراء قاتلهم الله، ربما ذكرونا شيئًا – يريد الموت – نحن أكثر ذكرًا له منهم، فينغصون به علينا أوقات لذتنا؟[3].

ويروى أن سليمان بن عبد الملك خرج من الحمام – وهو الخليفة – يريد الصلاة ، ونظر فى المرآة فأعجبه جماله – وكان حسن الوجه – فقال : أنا الملك الشاب، فتلقته إحدى حظاياه ، فقال لها ! كيف ترينني ؟ فتمثلت بقول موسى شهوات:

ليس فيمـــا بـــدا منك عيـــب

عابه الناس غير أنك فان

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى

غير أن لا بقـاء للإنســـان

فتطير بها ورجع، فحم ، فما بات إلا ميتا تلك الليلة[4].

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣٥٤.

(٢) هذا من الناحية الفنية، أما من الناحية الشرعية فينبغى أن نذكره، على أن مراعاة حال المخاطب ووقت الخطـــاب أمر هام على كل حال.

(٣) العمدة ج ٢ ص ١٣٦.

(٤) العمدة : الموضع السابق.

(ب) الحكم بين الشعراء :

سئل مسلمة بن عبد الملك : أى الشاعرين أشعر؟ أجرير أم الفرزدق ؟ فقال : إن الفرزدق يبنى، وجرير يهدم، وليس يقوم مع الخراب شىء[1].

وطلب إلى الصلتان العبدى أن يحكم بين الفرزدق وجرير، فقال [2]:

ألا إنما تحظى كليب بشعرهـــا
وبالمجد تحظى دارم والأقارع

أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره
ولكن خيرًا من كليب مجاشع

فيا شاعرًا لا شاعر اليوم مثلـــــه
جرير ولكن فى كليب تواضع

جرير أشد الشاعرين شكيمـــة
ولكن علته الباذخات الفوارع

ويرفع من شعر الفرزدق أنـــه
له باذخ لـذى الخسيسة رافع

وقد يحمد السيف الددان [3] بجفنه
وتلقاه رثا غمده وهو قـاطع

---

(١) الموشح للمرزبانى ص١٦١.

(٢) الشعر والشعراء ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) الددان : الكل ، الذى لا يقطع.

يناشدنى فى النصر الفرزدق بعدما

ألحت عليه من جرير صواعق

فقلت له إنى ونصـرك كالـــذى

يثبـــت أنفًا كشمته الجوادع

وقالت كليب قد شرفنا عليـــكم

فقلت لها سدت عليك المطالع

" فالصلتان العبدى تنازعه عاملان : عامل التبريز فى الشعر الذى يعطفه على جرير ، ويصده عن الفرزدق ، وعامل الجاه الاجتماعى الذى يجعله يرفع من شعر الفرزدق ويقصى جريرًا.

وبتعبير آخر: نال جرير مكانة اجتماعية بشعره، " فى حين ارتفع شأن الفرزدق فى الشعر بمكانته الاجتماعية "[1].

(ج) الموازنة بين المعانى :

١ـ أنشد كثير عزة ابن أبى عتيق قصيدته التى يقول فيها [2] :

ولست براض من خليل بنائل

قليل ولا أرضى له بقليل

فقال ابن أبى عتيق: هذا كلام مكافئ وليس بعاشق، القرشيان أصدق منك وأقنع : ابن أبى ربيعة حيث يقول:

---

(١) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٩٨.

(٢) الموشح المرزبانى ص ٢٠١، ٢٠٢.

فعـدى نائلا وإن لـــم تنيلى

إنما يقنع المحب الرجاء

وحيث يقول :

ليت حظى كطرفة العين منها

وكثيـــر منها القليـل المهـــنا

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رقى بعمـــرك لا تهجـــرينا

ومنينا المـــنى ثـــم أمطـــلينا

عدينا فى غـــد ما شئت إنا

نحب – ولو مطلت – الواعدينا

فإما تنجزى عـــدتى وإما

نعيـــش بمـا نؤمل منك حينا

وقد وفق ابن أبى عتيق فى نقده لأن المحب يقنع بالقليل ، ولو كان نظرة خاطفة، أو طيفًا زائرًا، أو وعدًا ممطولاً ، أو أملاً مبددًا، كما قال جميل [1]:

أقلب طرفى فى السماء لعله

يوافق طرفى طرفها حين تنظر

(١) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ١٦٧.

وكقوله – أيضًا –:

وإنى لأرضى من بثينة بالـــذى

لو أبصره الواشى لقرت بلابله

بلا ، وبأن لا أستطيع وبالمـــنى

وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى

أو اخـــره لا نلتــقى وأوائله

٢. بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير ، فقالت له :

يا ابن أبى جمعة ما الذى يدعوك إلى ما تقول من الشعر فى عزة ، وليست عن ما تصف من الحسن والجمال، لو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا أو مثلى ، فأنا أشرف وأوصل من عزة – وكانت عائشة قد أرادت أن تختبر حبه لعزة – فقال [١]:

إذا ما أرادت خلة أن تزيلنـــا

أبينا وقلنا الحاجـــــبية أول [٢]

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا

ونحن لتلك الحاجبية أوصل

---

(١) الشعر والشعراء ص٣٤٤.

(٢) تزيلنا : تفرقنا .

لها مهل لا يستطـــاع دراكه

وسابقة فى الحب ما تتحول

فقالت عائشة : والله لقد سميتنى لك خلة وما أنا لك بخلة . وعرضت على وصلك وما أريد ذلك وإن أردت ، ألا قلت كما قال جميل [1]:

ويقلن إنك قد رضيت بباطل

منها فهل لك فى اعتزال الباطل؟

ولباطل ممن أحـــب حديثه

أشهى إلى من البغيـــض الباذل

ولرب عارضة عليـــنا وصلها

بالجـــد تخلـــطه بقـــول الهازل

فأجبتها فى الحب بعد تستر

حبى بثينة عن وصـــالك شاغلى

لو كان فى قلبى كقدر قلامة

حب وصلتـــك أو أتتك رسائلى

فقد أدركت عائشة بحاستها الأنثوية أن جميلا أصدق فى حبه من كثير، فقد شغله حب صاحبته ، وملك عليه قلبه، فلم يبق فيه مقدار قلامة لغيرها، أما كثير فقد ضعف أمام أول اختبار ، وأسرع بعرض وصاله على أول من أومأت له، ولم يزد على جعل صاحبته أولى من غيرها لما لها من سابقة فى الحب.

(١) الشعر والشعراء ص ٣٤٤، ٣٤٥.

وليس هذا بكلام المحب الصادق، ومن هنا استحسنت عائشة أبيات جميل ، وفضلتها على أبيات كثير.

(د) نقد المذهب الشعرى :

ومنه ما رواه الأصمعى عن عيسى بن عمر من أن ذا الرمة قال للفرزدق: مالى لا ألحق بكم معاشر الفحول ؟ فقال له : لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والأطلال [1].

وقال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل الغنوى، وكان طفيل من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له فى الجاهلية المحبر لحسن شعره[2].

ووفد الأخطل على معاوية بن أبى سفيان قائلا: إنى امتدحتك بأبيات فاسمعها ، فقال معاوية: إن كنت شبهتنى بالحية والأسد والصقر فلا حاجة لى بها، وإن كنت قلت كما قالت الخنساء :

فما بلغ المهــدون الناس مدحه

-وإن أطنبوا - إلا الذى فيك أفضل

وما بلغــت كف امــرئ متناولا

من المجد إلا والذى نلت أطول

فقال الأخطل : لقد أحسنت الخنساء، وقد قلت بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٢٢٨.

(٢) الشعر والشعراء ص ٣٠٠.

إذا مت مات العرف وانقطع الندى

فلم يبق إلا من قليل مصرد[1]

وردت أكف السائلـــين وأمسكوا

عن الدين والدنيا بحزن مجدد

فمعاوية استحسن مسلك الخنساء ، واستجاد بيتيها" لما يجد فيهما من معانى التسامى بالممدوح، وإعلاء أمره، وبلوغه قمة المجد، والأخطل. وافقه على استجادة البيتين ، وزعم أنه أعد مديحاً ليس أدون من مديح الخنساء ، وبيتاه عند التحقيق دون بيتيها فى إصابة المدح وإرضاء الممدوح " [2] وقد سبق القول بأن الملوك لا تحب أن تخاطب بمثل قول الأخطل[3].

ودخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن: يا ابا فراس ، دعنى من شعرك الذى ليس يأتى آخره حتى ينسى أوله ، وقل فى بيتين يعلقان بالرواة، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قبلى ، فغدا عليه الفرزدق وهو يقول: بيتين نال بهما عشرة آلاف درهم "[4].

---

(١) المصرد : القليل المتفرق، يقال صرد شربه، أى تناوله جرعات متفرقة.

(٢) اتجاهات النقد الأدبى العربى لأستاذنا الدكتور / محمد السعددى فرهود ص ٦٣.

(٣) راجع ص ٨١، ٨٢.

(٤) العمدة ج٢ ص ١٢٨، ١٢٩ .

ثانيًا : الاتجاه اللغوى :

كان بعض النحاة فى هذا العصر يتعقبون الشعراء ، يرصدون أخطاءهم ، وينبهون عليها، وكان عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى كثير السؤال للفرزدق، سأله يومًا كيف تنشد هذا البيت :

وعينان قال الله كــونا فكانــتا

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فأنشده " فعولان " فقال له عبد الله : ما كان عليك لو قلت فعولين، فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت ، ونهض فلم يعرفوا مراده، فقال عبد الله : لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد أنهما تفعلان ما تفعلان الخمر[1].

ثم تدرج الأمر بعبد الله إلى إعنات الفرزدق فى شعره هو ، إذ عاب عليه قوله:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحتا أو مجلف[2].

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى ص ٥٦، عن الأشباه والنظائر للسيوطى : الفن الــسابع فن المناظرات والمجالسات.

(٢) المسحت: الهالك أو المستأصل، والمجلف : الباقى منه بقية .

فقال له : بم رفعت مجلف؟ فقال الفرزدق : بما يسوءك وينوءك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا [1].

وعابه فى قوله :

مستقبلين شمال الشام تضربنا

بحاصب من نديف القطن منثور[2]

على عمائمنا يلـقى وأرحلنا

على زواحف تزجـــى مخها رير[3]

فقال : إنما هو رير بالرفع وإن رفع أقوى ، فوجد عليه الفرزدق، وقال : أما وجد هذا المنتفخ الخصيين لبيتى مخرجًا فى العربية ؟ أما إنى لو شئت لقلت :

على عمائمنا يلقى وأرحـلنا

على زواحـف نزجيها محاسير

ولكن والله لا أقوله ، ثم هجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته

ولكن عبد الله مــولى مواليًا

---

(١) انظر : الموشح ص ١٤٠، ١٤١، والشعر الشعراء ص ٤٠ ، ومن قضايا اللسان العربـى للأستاذ الدكتور/ السيد رزق الطويل ج١ ص ٩، وقد خرج بعض النحاة البيت على أنه من باب العطف على المعنى، ألا تـرى أنـه رفع أو مجلف على معنى بقى من المال مسحت ".

(٢) الشمال (هنا) : ريح الشمال، والحاصب: الريح التى تثير الحصباء .

(٣) الزواحف (هنا): الإبل التى أعيت فجرت فراستها تزجى (بالبناء للمجهول) : تساق . مخها: نقـى عظامهـا، وقيل : إنه أول السمن فى الإقبال وآخر الشحم فى الهزال، رير : فاسد ذائب من الهزال.

فقال عبد الله: عذره شر من ذنبه، فقد أخطأ- أيضًا -والصواب: مولى موال[1].

وتعقب عيسى بن عمر النابغة فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة

من الرقش فـــى أنيابها السم ناقع

فقال : أساء النابغة إنما هو " ناقعا " [2]، يريد أنه ينبغى أن يكون منصوبًا على الحال ، وخرج ابن هشام الرفع على أنه خبر للسم ، والظرف متعلق به أو خبر ثان " [3].

وخطأ أبو عمرو بن العلاء ذا الرمة فى قوله :

حراجيج مـــا تنفك إلا مناخة

على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا[4].

لأن أفعال الاستمرار بمعنى الإيجاب فلا يصح الاستثناء فى خبرها ، إذ لا يصح أن يقال : ما زال زيد إلا قائمًا [5].

---

(١) انظر : الموشح ص ١٣٧، ١٣٩، والشعر والشعراء ص ٤٠، والوساطة ص ٦، ٩ ، ونـشأة النحـو للـشيخ محمد الطنطاوى ص ٥٧، ٥٨.

(٢) طبقات فحول الشعراء ج١ ص ١٦، نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى ص ١٠٤.

(٣) مغنى اللبيب ج٢ ص ٥٧١ شاهد رقم ٨٠٧.

(٤) حراجيج : طوال ضامرات من الهزال . الخسف : الجوع.

(٥) الموشح ص ٢٣٥، ٢٣٧، ونشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى ص ١٠٤.

وروى المرزبانى عن عبد الله بن جعفر .. عن أبى عمرو بن العلاء قال : كنا عند بلال بن أبى بردة، فأنشد الفرزدق :

تريك نجوم الليل والشمس حية

زحـــام بنات الحارث بن عباد

فقال عنبسة بن معدان [1]: الزحام مذكر ، فقال الفرزدق : أغرب، قال عبد الله : والزحام له وجهان : أن يكون مصدرًا مثل الطعان والقتال من قولهم زاحمته زحامًا – فهذا مذكر كما قال عنبسة، أو يكون جمعًا للزحمة يراد بها الجماعة المزدحمة فهذا مؤنث ، لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطعان هو المطاعنة ، وقول عنبسة أقوى وأعرف فى الكلام[2]. " فلما ضاق الفرزدق بعنبسة هجاه بقوله : [3].

لقد كان فى معدان والفيل شاغل

لعنبسة الراوى على القصائد!

على أن هذا الجيل المبكر من علماء اللغة والنحو كان له ذوقه الأدبى الذى يشارك به فى الحكم على الشعراء على أساس النظرة الشاملة فى شعرهم [4]. فكان أبو عمرو بن العلاء يقدم الأعشى ويقول : مثله مثل البازى

---

(١) هو عنبسة بن معدان الفيل من نحاة الطبقة الأولى من طبقات البصريين ، انظـر نـشأة النحـو للـشيخ محمـد الطنطاوى ، ص٥٥.

(٢) الموشح ص ١٤٥.

(٣) الوساطة ص ٩.

(٤) انظر : معالم على طريق النقد القديم ، د / رجاء عبد المنعم جبر ص ٧٠.

يضرب كبير الطير وصغيره[١]. ويرى أن عدى بن زيد فى الشعراء مثل سهيل فى الكواكب يعارضها ولا يجرى مجراها[٢]، وكان يقول : عمارة بن عقيل أحسن استواء شعر من جده جرير، ولجرير فضله ، إلا أن جريرًا اعتد عليه بسقط فى شعره وضعف، وما أصابوا لعمارة سقطة واحدة فى شعره[٣].

ومن يطالع المصادر الأدبية والنقدية يجد العديد من الملاحظات النقدية لهؤلاء اللغويين حول الشعر والشعراء [٤].

---

(١) العمدة ج١ ص ٩٥.

(٢) الموشح ص ٩١.

(٣) الموشح ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤) انظر على سبيل المثال : الموشح ص ٦٣، ٧٥، ٩١، ٩٨. والشعر والشعراء ص ٣١٩، والعمدة ج٢١ ص ١٣٩. وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ج ١ ص ٥٢.

الفصل الرابع

النقد فى العصر العباسى

النقد فى العصر العباسى

فى السنة الثانية والثلاثين بعد المائة من الهجرة النبوية انتقلت الخلافة من الشام إلى العراق، من بنى أمية الذين كانت دولتهم عربية أعرابية إلى بنى العباس الذين أقاموا دولتهم بمساندة الفرس وتأييدهم، فكان طبيعيًّا أن يكافأهم العباسيون بتولية بعض المناصب والأمور الهامة كإمارة الأقاليم ، وقيادة الجيوش والحجابة والقضاء ، ونحو ذلك.

وظل الفرس يعملون بمكر ودهاء ، ويتسللون إلى المناصب الهامة حتى صار نفوذهم قويًّا وبأسهم مخشيًّا، وأحس بذلك الخليفة الرشيد فعجل بهم، ونكل برؤوسهم فيما يعرف بنكبة البرامكة[1]. ثم عاد نجمهم للظهور بعد أن ناصروا المأمون ووقفوا إلى جانبه فى محاربة أخيه الأمين حتى تحقق لهم بعض ما أرادوا، ولكن المأمون كان فطنًا أريبًا فانقلب بعد مقتل أخيه على السياسة الفارسية، وترك عاصمته مرو، وعاد إلى بغداد سنة ٢٠٤هـ [2]، غير أن النفوذ الفارسى فى الدولة والجيش والحياة لم يضعف ، فلما جاء المتعصم حاول السيطرة على الأمور والقضاء عل نفوذ الفرس فاستعان بالأتراك الذين

---

(١) راجع فى نكبتهم : تاريخ الطبرى ، ج٨ ص ٢٨٧، وما بعدها، والعصر العباسى الأول ، د / شوقى ضيف ص ٢٤، ط دار المعارف – سنة ١٩٨٦م.

(٢) راجع تاريخ الأدب العربى / لعمر فروخ ج٢ ص ٣٦ ط دار بيروت سنة ١٩٧٥م.

كانوا أشد خطرًا على الدولة العربية من الفرس فكان كما قال المتنبى – من الطويل [1] :

ومن يجعل الضرغام بازًا لصيده

تصيده الضرغام فيما تصيدا

أما الحياة الثقافية فقد ازدادت عمقًا واتساعًا تبعًا لتحضر العقلية العربية ووقوفها على ثقافات الأمم الأخرى، واطلاعها على علوم هذه الأمم وحضارتها، وفى ظل هذه الحياة نشطت الحركة الأدبية والنقدية نشاطًا عظيمًا.

عوامل ازدهار النقد فى هذا العصر :

(أ) تشجيع الخلفاء والأمراء:

عمل خلفاء بنى العباس على تشجيع العلماء والأدباء، وأغدقوا عليهم المنح والعطايا، فقد وصل المهدى مروان بن أبى حفصة بمائة ألف درهم على قصيدة مدحه بها [2]، ووصل هارون الرشيد سلم الخاسر وحده بعشرين ألف دينار [3].

(١) ديوانه : شرح البرقوقى ج٢ ص ١٠، ط دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

(٢) انظر : الأغانى ج ٩ ص ٤٢.

(٣) انظر : الأغانى ج٢١ ص ٧٧.

ولم يكن الإغداق على العلماء والشعراء والمترجمين قصرًا على الخلفاء وحدهم فقد نافسهم فيه الوزراء والأمراء وأصحاب الشرف والجاه مما أثرى الحياة الثقافية فى هذا العصر [1].

وكان لذلك كله أثر بالغ فى حياة الأدباء والشعراء ، الذين وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى التفاعل مع الحياة الجديدة، فوفد كثير منهم على الخلفاء والوزراء ، يدفعهم إلى ذلك طلب المال والثراء ، أو الشهرة وحب الظهور ، حيث كانت قصور الخلافة مفتاحًا لذلك وميدانًا فسيحًا له.

وفى هذه القصور نشأت حركة أدبية ونقدية شارك فيها الخلفاء أنفسهم ، ومن ذلك:

١- اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم، من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النمرى فى أمير المؤمنين الرشيد :

إن المكارم والمـــعروف أودية
أحلـــك الله منهـا حيث تجتمع
إذا رفعت امـــــرأ فالله رافعــه
ومـــن وضعت من الأقوام متضع
من لم يكن بأمين الله معتصمًا
فليس بالصلوات الخمس ينتفع[2]

(١) راجع العصر العباسى الأول د / شوقى ضيف ص ٤٦، وما بعدها، وفى الشعر العباسى : تطوره وقيمه الفنيـــة د/ محمد أبو الأنوار ص ١٧.

(٢) فى هذا البيت مبالغة وغلو فى المديح.

إن أخلف الغيث لم تخلف أناملـه

أو ضاق أمر ذكرنـــــاه فيتسع

فليدخل ، فقال محمد بن وهب ، فينا من يقول خيرًا منه ، وأنشد :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

يحكى أفاعيله فى كل نائلة

الغيث والليث والصمامة الذكر

فأمر بإدخاله وأحسن صلته [1].

٢. دخل العمانى[2] – محمد بن ذؤيب الفقيمى – على الخليفة هارون الرشيد، فأنشده أرجوزة يقول فيها :

قل للإمام المقتدى بأمــه [3]

ما قاسم دون مدى ابن أمه

فـقـــد رضيناه فقم فسمـه

---

(١) العمدة ج٢ ص ١٣٨، ١٣٩

(٢) لم يكن العمانى من أهل عمان – إنما هو من بنى نهشل بن درام من بنى فقيم – وقيل له: العمـــانى، لأن دكينـــا الراجز نظر إليه وهو يسقى الإبل ويرتجز، فرآه مصفرًا ضريرًا يشبه أهل عمان ، فقال : من هذا العمانى؟، فعـــرف بهذا اللقب، انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٠٩، والشعر والشعراء ص ٥١١.

(٣) أمه (بفتح الهمزة وتشديد الميم) : قصده، والمراد : نهجه وسيرته.

فقال الرشيد : ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلى فقال له : يا أمير المؤمنين، ما أردت قيام جسم لكن قيام عزم، فأمر الرشيد بإحضار ولده القاسم ، ومر العمانى فى إنشاده ، فلما فرغ قال الرشيد للقاسم : أما جائزة هذا الشيخ فعليك، وقد سألنا أن نوليك العهد فأجبناه .

٣. مدح ابن هرمة [١] أبا جعفر المنصور فأمر له بألفى درهم، فاستقلها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فغضب، وقال : أما يرضى أن حقنت دمه وقد استوجب أن أقتله؟ ورددت عليه ماله ، وقد استحق تلفه؟ وأقررته وقد استاهل الطرد؟ وقربته وهو حقيق بالبعد، أو ليس هو القائل فى عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك – من المتقارب–[٢]:

إذا قيل من عند ريب الزمان

لمقتر فهـــر ومحتاجها [٣]

ومن يعجل الخيل يوم الوغاء

بإلجامــها قبل إسراجها[٤]

---

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة القرشى أحد بنى قيس بن الحارث بن فهر، قــال الأصــمعى: (ختم الشعراء بابن هرمة فإنه مدح ملوك بنى مروان وبقى إلى آخر أيام المنصور. طبقات الــشعراء لابــن المعتــز ص ٢، وانظر فى ترجمته: الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٥٣، والأغانى ج٤ ص ١٠١.

(٢) العفو والاعتذار للرقام البصرى ج١ ص ١٩٤، ١٩٥. وشعر إبراهيم بن هرمة ص ٨٠.

(٣) المقتر : الذى ضاق عيشه.

(٤) الإلجام : وضع اللجام فى فم الفرس ، والإسراج: وضع السرج على ظهره، وذلك كناية عن الإسراع.

أشارت نســاء بنـــى مــالك

إليـك به دون أزواجها

ثم أحضر ابن هرمة فقال له المنصور : يابن اللخعاء، ألست القائل وأنشده الأبيات ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فإنى قلت فيك أحسن من هذا فقال: هاته فأنشد ابن هرمة _ من المتقارب[1]:

إذا قيل : أى فتى تعلمون

أهش إلى الطعن بالـــذابل[2]

وأضرب للقرن يوم الوغى

وأطعم فى الزمـن الماحل[3]

أشارت إليك أكف العباد

إشارة غرقى إلى الساحـــل

فقال المنصور : أما هذا فمسترق من ذاك، وأما نحن فلا نكافىء إلا بالتى هى أحسن [4].

٤. قال النضر بن شميل المازنى: كنت أدخل على المأمون فى سمره ، فدخلت عليه ذات ليلة، فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون فى ذكر

---

(١) العفو والاعتذار ج١ ص ١٩٥، وشعر إبراهيم بن هرمة ص ١٧٤.

(٢) الذابل : الرمح الدقيق.

(٣) الماحل ، الشديد أو المجدب ، والمحل : انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ، أرض محل ، أى : لا مرعـى بها، ورجل محل ، أى : لا ينتفع به .

(٤) العفو والاعتذار ج١ ص ١٩٦.

النساء، فقال: حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس، قال : قال رسول الله ﷺ :" إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز" ، فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هشيم ، حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز، قال : وكان المأمون متكئًا فاستوى جالسًا، فقال : يا نضر كيف قلت سداد؟ قلت : يا أمير المؤمنين، السداد هنا لحن ، قال : ويحك أتلحننى؟ قلت : إنما لحن هشيم – وكان لحانة – فتبع أمير المؤمنين لفظه، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد (بفتح السين) القصد فى الدين والسبيل والسداد (بكسر السين) : البلغة ، وكل ما سددت به شيئًا فهو سداد، قال: وتعرف العرب هذا ؟ قلت : نعم ، العرجى يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون : قبّح الله من لا أدب له، ثم أطرق مليًا ، ثم سأله عن أخلب بيت قالته العرب، وعن أنصف بيت، وعن أقنع بيت ، والنضر يجيب بما يستحسنه المأمون ، فأخذ المأمون القرطاس وكتب له كتابًا، وقال لخادمه : تبلغ معه إلى الفضل بن سهل ، يقول النضر : فأتيت الفضل بالكتاب فقال يا نضر : إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب؟ فأخبرته، ولم أكذبه، فقال لحنت أمير المؤمنين؟ فقلت : كلا . إنما لحن هشيم

– وكان لحانة – فتبع أمير المؤمنين لفظه، وقد تتبع الفقهاء ، فأمر لى الفضل بثلاثين ألفًا، فأخذت ثمانين ألفًا بحرف استفاده منى [1].

(ب) الصراعات السياسية :

لم تسلم الدولة العباسية من مناوءة الثوّار والخارجين، فقد تعرضت لثورات عديدة كدرت صفوها فى كثير من الأوقات، وكان العلويون عدوًّا لدودًا لهذه الدولة يتهددها ويتحين الفرصة للانقضاض عليها، ولم يكد العباسيون يستولون على مقاليد الخلافة حتى أخذ العلويون يشيعون فى الناس أنهم اغتصبوها منهم، فهم ورثتها الحقيقون، إذ هم أبناء فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأبناء على ابن عمه[2].

وقد توالت ثورات العلويين وظلوا شوكة قوية فى ظهر الدولة العباسية حتى أسسوا الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ثم استولوا على مصر والشام [3].

وقد كان لهذا الصراع السياسى الدامى بين العباسيين والعلويين فى أوائل هذا العصر أثر كبير فى نهضة الشعر وقوته، فقد وقف بجانب العباسيين فريق كبير من الشعراء يدافعون عنهم، وينكرون على العلويين حقهم فى الخلافة، وقد كثر هؤلاء كثرة فائقة بما أغدق عليهم الخلفاء من بذل وعطاء ، أو أخافوهم الذل والهوان فى حين انتصر للعلويين الثائرين ثقيفٌ من الشعراء

---

(١) ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ج ١ ص ١٠-١٢ بتصرف .

(٢) انظر : العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ص ٢٦.

(٣) انظر : عصر الدول والإمارات (مصر – الشام) د/ شوقى ضيف ص ٢٢-٢٣.

يلهبون حماسهم ، ويثبتون حقهم فى الخلافة، ويردون على العباسيين حججهم ودعواهم مما أثمر ثروة عظيمة من الشعر والنقد [١].

ولم يكن العلويون هم العدو الأوحد للدولة العباسية ، فقد كان الفرس يشكلون خطرًا كبيرًا لا يقل عن خطر العلويين، حيث توالت ثوراتهم بعد مقتل أبى مسلم الخراسانى، وكانت ثورات بابك الخرمى التى اندلعت فى أذربيجان سنة ٢٠١هـ من أعنف الثورات التى هبت فى وجه الدولة العباسية [٢].

وهناك أعداء آخرون كانوا يثورون على الدولة بين الحين والحين كتلك البقية التى بقيت من الخوارج، وإن كانت شوكتهم ضعفت فى هذا العصر نظرًا لكثرة ما تلقوه من ضربات فى العصر الأموى [٣].

على أننا لا ننسى الصراع الدامى بين الأمويين والعباسيين، والذى انتهى باستيلاء بنى العباس على مقاليد الحكم ، لكن المعارك الأدبية لم تنته بانتهاء المعارك السياسية ؛ بل ظلت آثارها ممتدة فى العصر العباسى، وكانت واضحة أشد الوضوح فى أوائل العصر العباسى الأول .

---

(١) المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين أ . د / فوزى السيد عبد ربه ص ١٠١.

(٢) راجع: تاريخ الطبرى ج ٨ ص٥٥٦، و ج ٩ ص ١٣، ٢٣ والعصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ص ٤١.

(٣) انظر: العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ص ٣٢- ٣٣.

وقد انقسم شعراء الأمويين بعد زوال دولتهم قسمين :

أحدهما: ظل وفيًا لأمويته مدافعًا عنها، يبكى أطلالها ، ويعيش على ذكرياتها، ومن هؤلاء أبو العباس الأعمى.

والآخر: تحوّل إلى ساحة العباسيين خوفًا من نكالهم، أو حرصًا على قواهم، ومن هؤلاء أبو نخيلة الراجز وابن هرمه وغيرها.

كما أن الصراعات التى دارت بين العباسيين أنفسهم كانت ذات أثر واضح فى إذكاء جذوة الشعر، فحين احتدم الصراع بين الأمين والمأمون كان لكل منهما شعراؤه، وكان ابن البواب [1] من شعراء الأمين، فلما تمكن المأمون من القضاء على أخيه الأمين وفد عليه ابن البواب لينشده، فقال المأمون : يا عدو الله ألست القائل:

أعينى جودًا وابكيا لى محمدًا

ولا تذخرا دمعا عليــه واسعـدا

ولا فرح المأمون بالملك بعده

ولا زال فى الدنيا غريبًا مطـردا

فقال : يا أمير المؤمنين ، بل أنا الذى أقول فيك:

أيبخل فرد الحسن ، فرد صفاته

على وقد أفــردتــه بهــوى فرد

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عتاب ، شاعر صالح الشعر قليلة ، وكان راوية الأخبار للخلفاء عالمًا بأمورهم، وكــان يخلف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء، راجع فى أخباره الأغانى ج ٣ ص ٤٢.

رأى الله عبد الله خير عبـــاده

فملكـــه والله أعلـــــــم بالعبد

أعيذك أن تقسو على وقد ترى

تقطع أنفاسى عليك من الوجد

ألا إنما المأمون للناس عصمة

ممـــيزة بين الضـلالة والرشد

ـ فقال المأمون ، واحدة بواحدة ، ولم يصله بشىء [1].

(ج) نشاط البيئة اللغوية :

إن الحركة اللغوية التى نشأت فى العصر الأموى قد نمت وازدهرت وآتت أكلها فى العصر العباسى، فقد كثر أعلام اللغة والنحو، وكانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين من أمثال الكسائى والأصمعى والفراء واليزيدى وغيرهم، فكان لابد للشعراء أن يروقوهم حتى ينالوا استحسانهم ويرى ذلك الخلفاء منهم فيجزلوا لهم العطاء.

وكان بعض الشعراء يعرضون أشعارهم على اللغويين قبل إنشادها فى المحافل العظام، فإن استحسنوها مضوا فأنشدوها، وإن لم يستحسنوها ذهبوا يعاودون الكرة بصنع قصائد جديدة آملين أن تظفر باستحسانهم [2].

(١) العفو والاعتذار للرقام البصرى ج ١ ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ص ١٣٩.

ومن ذلك ما رواه الأصمعى، قال : كنا فى حلقة يونس، فجاءنا مروان ابن أبى حفصة، فقال : أيكم يونس ؟ فأومأ إليه، فجلس، فقال أصلحك الله، إنى أرى أقوامًا يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سوءته فيمشى فى الطريق أحسن به من أن يظهر مثل ذلك الشعر : وقد قلت شعرًا أعرضه عليك؛ فإن كان جيدًا أظهرته، وإن كان رديئًا سترته وأنشده:

طرقتك زائرة فحى خيالها

بيضاء تخلـــط بالجمال دلالها

فقال يونس : يا هذا، اذهب فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى – يريد فى قوله :

رحلت سمية غدوة أجمالها

غضبى عليك فما تقول بدالها؟

فقال له مروان: قد سؤتنى وسررتنى : فأما الذى سررتنى به فارتضاؤك الشعر ، وأما الذى سؤتنى به فتقديمك إياى على الأعشى ، فقال يونس : إن الأعشى قال:

فرميت غفلة عينه عن شأنه

فأصبت حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل فى شىء إلا أفسده، وأنت لم تقل ذاك [1].

(١) الموشح للمرزبانى ص ٧٠.

ومن أمثلة نقدهم اللغوى :

١. اجتمع الكسائى واليزيدى عند الرشيد، فجرت بينهما مسائل كثيرة ، فقال له اليزيدى: أتجيز هذين البيتين؟

ما رأينا خربا[١] نـــــ قعر عنه البيض صقر

لا يكون العير مهرًا لا يكون، المهر مهر

فقال الكسائى: يجوز على الإقواء، وحقه لا يكون المهر مهرًا، فقال له اليزيدى، فانظر جيدًا . فنظر ثم أعاد القول ، فقال اليزيدى : لا يكون المهر مهرًا محال فى الإعراب، والبيتان جيدان، وإنما ابتدأ فقال المهر مهر، وضرب بقلنسوته الأرض، وقال : أنا أبو محمد، فقال له يحيى بن خالد : خطأ الكسائى مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك ، أتكتنى أمام أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ فقال : إن حلاوة الظفر وعز الغلبة أذهبا عنى التحفظ [٢].

٢- اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد، فأنشد الكسائى:

أنى جزوا عامرًا سوءى بفعلهـــم

أم كيف يجزوننى السوءى من الحسن؟

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به

رئمان أنـــف إذا ماض باللـــبن؟ [٣]

---

(١) خربا: الخرب (بفتح الخاء والراء) ذكر الحبارى.

(٢) معجم الأدباء ج١٣ ص ١٧٨، ونشأة النحو ص ٤٣.

(٣) العلوق : الناقة التى علق قلبها بولدها، فكانوا إذا نحروا حشوا جلده تبنا، ويجعل بين يديها لتشمه فتـــدر عليـــه، فهى تسكن إليه مرة وتنفر عنه أخرى.

. برفع رئمان، فقال الأصمعى : إنما هو رئمان أنف بالنصب، فقال له الكسائى : اسكت ما أنت وذاك؟ يجوز بالرفع والنصب والخفض أما الرفع فعلى الرد على ما ؛ لأنها فى موضع رفع بينفع، فيصير التقدير أم كيف ينفع رئمان أنف، والنصب بتعطى، والخفض على الرد على الهاء فى به ، فسكت الأصمعى [1].

وقد تجاوزت جهود اللغويين حدود الجانب اللغوى، وبدت قوية واضحة، فوضعوا الجاهليين فى طبقات، ولم يتركوا شاعرًا مشهورًا من الجاهليين إلا رأوا فيه رأيًا، ولا فنا من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد وردىء، وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم فى الشعر والشعراء، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين، ونقدوا رواية الشعر، وبنيته، ومعانيه، وغير ذلك من الموضوعات [2].

(د) ازدهار حركة التأليف والترجمة:

اتسعت فى هذا العصر آفاق العرب نتيجة احتكاكهم بالشعوب الأخرى ونشطت حركة الترجمة فى نقل علو م وآداب هذه الشعوب ، مما كان له أثر واضح فى نهضة الحركة العلمية [3].

كما نشطت وازدهرت حركة التأليف فى شتى العلوم والمجالات ، ومنها ما عرف بالنقد المنهجى وهو ما نتناوله فى المبحث التالى:

---

(١) انظر: مغنى اللبيب ج١ ص٤٥، ٤٦، ونشأة النحو ص٣٩، واتجاهات النقد الأدبى العربى ص ١١٩.

(٢) انظر : تقديم أ. د/ محمد عبد المنعم خفاجى لكتاب نقد الشعر ص ٢٨.

(٣) راجع العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ص ٩٨، ١١٧.

النقد المنهجى

النقد المنهجى ، هو النقد الذى يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها، ويبسط عناصرها ، ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها [1].

وكان النقد الأدبى قد أخذ فى أواخر العصر العباسى الأول وأوائل العصر العباسى الثانى – يستقل بالبحث والتأليف على أيدى النقاد والأدباء وعلماء اللغة، فكتب محمد بن سلام الجمحى (م ٢٣٢هـ) كتاب " طبقات فحول الشعراء " الذى يعد أول مؤلف يصل إلينا فى النقد وتاريخ الأدب [2]، وكتب أبو العباس المبرد (م ٢٨٥هـ) كتابا فى قواعد الشعر وكتب أبو العباس ثعلب (م٢٩١هـ) كتابه قواعد الشعر ، وكتب ابن المعتز (م٢٩٦هـ) كتاب البديع، وكتب قدامة بن جعفر (م ٣٣٧هـ) كتابى نقد الشعر ونقد النثر [3]، ثم توالت المؤلفات النقدية التى تقوم على أساس منهجى ، نعرض – الآن – لكتابين من أهمها، هما : الموازنة للآمدى ، والوساطة للجرجانى.

---

(١) النقد المنهجى عند العرب د/ محمد مندور ص ٥ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص٥ .

(٣) انظر : تقديم أ . د / محمد عبد المنعم خفاجى لكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٣١.

الآمدى ومنهجه فى كتاب الموازنة

التعريف بالآمدى :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى [1] الأصل ، البصرى المولد والنشأة ، أخذ اللغة والأخبار عن الأخفش الصغير الحسن بن على بن سليمان ، وأبى بكر بن دريد، وأبى بكر بن السراج، وغيرهم.

وكان الآمدى حسن الفهم، جيد الدراية والرواية، سريع الإدراك وقد انتهت رواية الشعر القديم والأخبار إليه فى آخر عمره بالبصرة وله شعر حسن، ومصنفات عديدة، يذكر الرواة منها: الموازنة بين أبى تمام والبحترى، والمؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ، ونثر المنظوم، وتفضيل امرئ القيس على الجاهلين، وفرق ما بين الخاص والمشترك من معانى الشعراء، ومعانى شعر البحترى ، وتبيين غلط قدامة بن جعفر، وما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ، والرد على ابن عمار فيما خطّأ فيه أبا تمام ، وكتاب فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما ، وشدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف قدر نفسه، وكتاب: فعلت وأفعلت، وكتاب : الحروف فى الأصول والأضداد، وديوان شعر، وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـ ، وقيل ٣٧١هـ [2].

---

(١) الآمدى : نسبه إلى آمد ، بلد قديم حصين على نشز دجلة فتحه المسلمون سنة ٢٠هـ ، انظر معجم البلدان ج ١ ص ٥٦، ٥٧.

(٢) راجع : إنباه الرواة للقفطى ج١ ص ٣٢٠، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ٧٥، وبغية الوعاة للسيوطى ج١ ص ٥٠، وانظر نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٧٩.

كتاب الموازنة

أولاً : سبب تأليفه:

كتاب " الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى " ، صنفه الآمدى أساسًا للموازنة بين شعر هذين الشاعرين، وقد ثار الجدل بين النقاد والكتاب فى أيهما أفضل من صاحبه؟ ، وتعصب لكل فريق، وقامت الخصومة بين الفريقين، واحتدمت، وبعد أن فترت حدة الخصومة بعض الشىء جاء الآمدى، فأراد أن يدلى بدلوه فى هذا الموضوع فألّف هذا الكتاب [1].

ثانيًا: منهج الآمدى فى هذا الكتاب:

أكد الآمدى فى بداية كتابه أنه لن يطلق القول بأيهما أشعر فى شعره كله، لتباين الناس فى العلم، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، يقول : " فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكنى أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، ثم أقول : أيهما أشعر فى تلك القصيدة، وفى ذلك المعنى؟ ثم احكم أنت حينئذ – إن شئت – على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علمًا بالجيد والردىء" [2].

وقدم الآمدى لموازنته بذكر احتجاج الخصمين – أنصار أبى تمام، وأنصار البحترى – يقول : " وأنا أبتدئ بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة

---

(١) نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ٨٠.

(٢) الموازنة ج١ ص ٦، تحقيق السيد أحمد صير ط دار المعارف ١٩٩٢، الطبعة الرابعة.

من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بعض على بعض، لتتأمل ذلك وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده" [1].

ثم أفصح الآمدى عن منهجه وخطته فقال: وأنا أبتدئ بذكر مساوئ الشاعرين لأختم بذكر محاسنها، وأذكر طرفًا من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغلطه، وساقط شعره، ومساوئ البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه.

ثم أوازن بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى، فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف.

ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه.

وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه، وبابا للأمثال، أختم بهما الرسالة.

ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما، وأجعله مؤلفًا على حروف المعجم ، ليقرب تناوله، ويسهل حفظه وتقع الإحاطة به إن شاء الله" [2].

---

(١) الموازنة الموضع السابق .

(٢) الموازنة ج١ ص٥٧.

أنموذج تطبيقى

هذا أنموذج من النماذج الكثيرة التى ساقها الآمدى فى موازنته ، أنقله لك بنصه لتقف على طريق الرجل فى عرض موازنته .

أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها [1].

قال أبو تمام المعتصم :

إن الخليفة حين يظلم حادث

عين الهدى ، وله الخلافة محجر

كثرت به حركاتها ولقد تــرى

من فتـــــرة وكأنها تتفـــــكر

ما زلت أعلم أن عقد مــرامها

فى كفة مـــــذ خليت تتخــير [2]

قوله : " كثرت به حركاتها" يريد به ظهور الأمر والنهى والتدبير والسياسة. ويريد بالفترة ما كان من إهمال هذه الأشياء. و"كأنها تتفكر" لفظ ليس بالحلو ولا الشهى هاهنا.

وقال فيه :

فلاذت بحقويه الخلافة والتقت

على خدرها أرماحه ومناصله

---

(١) النص من كتاب الموازنة ج ٢، ص ٢٣٢، ٣٢٧.

(٢) رواية الديوان : " أن عقدة أمرها ".

أتته معدًا قد أتاها كأنها

ولا شك كانت قبل ذاك تراسله

فالبيت الأول جيد بالغ .

والبيت الثانى فى غاية السخف والرداءة، لأنه جعل الخلافة قد أتته، وجعله قد أتاها . وكان ينبغى أن يقتصر على إتيانه إياها، أو إتيانها إياه وهو أجود. فأما أن يجمع بين الحالين فما وجهه؟ وكان ينبغى أن يعلمنا لما توجه كل واحد إلى صاحبه: أين التقيا ؟ أفى منتصف الطريق ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب فى الألفاظ والمعانى ؛ ومن ها هنا فسد أكثر شعره .

وقوله : " ولا شك " من سخيف الألفاظ وسفسافها، وهو حشو ردىء ، وليس بالبيت إليه حاجة.

***

والجيد النادر فى هذا قول البحترى فى المهدى بالله :

بارك الله للخليفة فى الملك

الذى حازه له المقدار

رتبة من خلافة الله قد طالت

بها رقبة له وانتظـــــار

طلبته فقرأ إليه وما كان

به ساعة إليها افتقـــار

ومثله فى الجودة قوله فيه :

سرت تتبغاه الخلافة رغبـــــة

إليه بأوفى قصدها واعتمادها

فما علقته خبط عاشية الدجى

ولكنها اختارته بعـــد ارتيادها

فهذه هى المعانى الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسبك الرصين

وما أحسن ما قال " سلم الخاسر " فى المهدى :

هبطت إليك من السماء خلافة

دفعت إليك زمامــها وقيادهـــا

ومثل قول البحترى قول " الحطيئة " :

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه

ألقى إليك مقاليد النهى البشــر

ما آثروك بهـــــا إذ قدمــوك لها

لكن بك استأثروا إن كانت الأثر

وقال " ابن هرمة" فى المنصور:

وما الناس أعطوك الخلافة عنوة

ولكنه من يعله الله يستعـــــــلى

ومن ذلك فى الجودة قول البحترى:

اليوم أطلع للخـــلافة سعدها

وأضاء فيهـــا بدرهـــا المتهلل

لبست جلالـــة جعفـــر فكأنها

سحر تجللـــه النهـــار المقبل

جاءته طائعـــة ولـــم يهزز لها

رمح، ولم يشهر عليـــها منصل

أنى وإن كانت تعلت نحوه

من قبل أن يقع القضاء فتعقل

حتى أتته يقودها استحقاقه

ويسوقهـــا حـــظ إليـــه مقبل

ويروى "ويحوقها حظ إليه مكمل"

و " تصنع" كانت هاهنا أحسن من " تعقل " فجاء بتعقل من أجل القافية.

وقال أبو تمام فى الواثق:

إن الخلافة أصبحت حجراتها

ضربت على ضخم الهموم همام

ضخم الهموم : يريد ضخم الهمة لا الهم الذى يراد به الحزن، وهذا لفظ هجين فى هذا الموضع.

لا قدح فى عود الخلافة بعدما
متت إليـــــك بحـــرمة وذمـام
هيهات تلك قلادة الله الـــتى
ما كان يتركهـــــا بغيـــــر نظام
إرث النبى وجمرة الملك التى
لم تخل من لهب بكم وضـــــارم
مذخورة أحرزتها بحكـــومـــة
تشـــدخ أرؤس الحـــــــــكام

وقال أبو تمام فى الواثق أيضًا:

جعل الخلافة فيـــــه رب قوله
- سبحانه – للشىء : كن فيكون

لقد رأيناهـــا لـــــه بقـلوبنـــا
وظهـــور خطـــب دونه وبطـــون [1]
ولذلك قيل : من الظنون جلية
صدق وفى بعض القلـوب عيـــون
ولقد علمنا مذ ترعـــرع أنـــه
لأميـــــن رب العالميـــــن أميـن

(١) كنا نقدر أنها تصير إليه بالمخايل الدالة عليها وبينه وبينها مدة بعيدة .

قوله : "جعل الخلافة فيه رب " بيت فى غاية الركاكة والرداءة " لأن مثل هذا إنما يقال فى الأمر العجب الذى لم يكن يقدر ولا يتوقع. ولا يظن أن مثله يكون ، " فيقال إذا وقع ذلك : قدره قادر ، وفعل من لا يعجزه أمر ، ومن يقول للشىء : كن فيكون . فأما الأمور التى لا يتعجب منها ، ولا يستغرب ، والعادات جارية بها وبما يشبهها – فلا يقال فيها مثل هذا ، وإنما يسبح الله تعالى ، وتذكر قدرته على تكوين الأشياء لو جاءوا بأبى العبر [1]، أو بجحا فجعلوه خليفة .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبى تمام فى أن أفضت إليه الخلافة وأبوه خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور: وأخو جده خليفة وهو الهادى، وأخو جد جده خليفة وهو السفاح، وعماه خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم ، وقد عدد أبو تمام منهم خمسة فى بيت فقال:

يسمو بك السفاح والمنصور والمهدى

والمعصوم والمأمون [2]

وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبه الواثق به فقال :

---

(١) أبو العبر: هاشمى من بنى العباس. كان أديبًا شاعرًا ماجنًا يظهر الحماقة وله فيها كتاب اسمه" جامع الحماقات وحاوى الرقاعات . توفى سنة ٢٥٠هـ ، وترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢، والأغانى ج ٢٠ ص٨٩، ٩٣، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٠(محقق الموازنة).

(٢) ديوانه ص ٢٣٠.

وجدوا جناب الملك أخضر واجتلوا

هارون فيه كأنه هارون

فما وجه التعجب من خلافة من كانت هذه صورته؟

وقوله : " ولقد رأيناها له بقلوبنا"، وقوله : ولذلك قيل من الظنون جلية صدق " فهذه كهانة عجيبة من أبى تمام فى الواثق لم يفطن لها غيره.

وعلى أن هذين البيتين جيدان فى نظمهما ولفظهما، ولكنه وضع المعانى فى غير مواضعها.

وقوله : " لأمين رب العالمين أمين " يعنى محمدًا ﷺ .

وقد أصاب " أبو الجنوب مروان بن أبى حفصة " فى هذا المعنى ؛ إذ يقول للأمين :

إن الخلافة قد تبين نورها

للناظرين على جبين محمد

إنى لأعلم أنه لخليفة

إن بيعة عقدت وإن لم تعقد

وما أحسن ما قال الحسين بن الضحاك الباهلى فى المأمون أيضًا:

رأى الله عبد الله خير لذاته

فملكه ، والله أعلم بالعبد

وقال البحترى فى المتوكل ، وزاد على الإحسان :

الله آثــر بالخلافـــة جـــعفــرًا

ورآه ناصرها الذى لا يخذل

هى أفضل الرتب التى جعلت له

دون البرية ، وهو منها أفضل

وقال فيه :

إن الخلافة لما اهــتــز منبـــرها

بجعفر أعطيت أقصى أمانيها

أبدى التواضع لما نالهــا رعـــةً

عنها، ونالته فاختالت به تِيَها

وهذا هو المعنى الحلو، والمدح الذى يليق بالخلفاء .

وقفة مع الآمدى:

لقد كشف الآمدى فى موازنته عن ناقد حاذق بصير، وتضمنت موازنته الكثير من الآراء النقدية العظيمة غير أنه لم يسلم من الملاحظات أو المآخذ التى وجهت إلى كتابه، ومنها:

١. أنه حاول أن يرضى أصحاب أبى تمام وأصحاب البحترى فوقع فى التناقض مرتين [1]:

(١) راجع نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور/ محمد سعدى فرهود ص ٩٢، ٩٧.

إحداهما : أنه قال فى بداية كلامه عن أبى تمام" : " إن اهتمامه بمعانيه أكثر من اهتمامه بتقويم ألفاظه على شدة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأى لفظ استوى من ضعيف أو قوى " [1]. ثم عاد وقرر – فى آخر كلامه – أن أبا تمام " لم يأت إلا بأبلغ لفظ وأحسن سبك " [2].

والأخرى: أنه وقع فى تناقض فكرى حين انتصر للطيف المعانى الذى اعتبره ضالة الشعراء وطلبتهم، " وبهذه الخلة دون سواها فضل امرؤ القيس .. ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره، ولكان كسائر الشعراء من أهل زمانه؛ إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم، ولا لألفاظه من القوة والجزالة ما ليس لألفاظهم" [3]. ثم عاد فقرر أن " دقيق المعانى موجود فى كل أمة وفى كل لغة، وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأنى، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ فى مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد به المستعمل فى مثله ... وتلك طريقة البحترى " [4].

٢. أن الآمدى خالف ما أخذ به نفسه فى أول كتابة ألا يطلق القول بأيهما أشعر عنده، فتسرع فى الحكم بين الشاعرين قبل أن يقيم الموازنة،

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) الموازنة ج ١ ص ٤٢٢.

(٣) الموازنة ج ١ ص ٤٢٠، ٤٢١.

(٤) الموازنة ج١ ص ٤٢٣.

وجارى ما شاع بين الناس من أن أبا تمام حكيم، وإنما الشاعر البحترى [1]؛ إذ يقول بعد الحديث عن طريقة البحترى: " وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لها، حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شىء من صحيح الوصف وسليم النظر – قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيمًا، أو سميناك فيلسوفًا ولكن لا نسميك شاعرًا، ولا ندعوك بليغًا، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب، ولا على مذاهبهم، فإن سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء".

وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول التأمل ، وهذا مذهب أبى تمام فى عظم شعره.

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء، وحسنًا ورونقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا قال الناس : لشعره ديباجة، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام [2].

(١) نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٩٧، ٩٨.

(٢) الموازنة ج١ ص ٤٢٥.

الوساطة للقاضى الجرجانى

القاضى الجرجانى [1]:

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز بن الحسن بن على بن إسماعيل الجرجانى، ولد فى جرجان سنة ٢٩٠هـ ، ونشأ بها ، ثم رحل فى طلب العلم، فحصل الفقه، والتفسير والأدب ، والتاريخ، واتصل بالصاحب بن عباد الذى قربه وولاه قضاء جرجان، ثم قضاء الرى ، ثم قاضيًا للقضاة بقية حياته.

وكان القاضى فقيهًا ، مفسرًا شاعرًا، ناقدًا ، وهو القائل :

يقولون لى فيك انقبـــاض وإنما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجها

وما زالت منحازًا بعـــرضى جانبًا
من الذم أعتـد الصيـــانة مغنـما

إذا قيل هذا مشرب قلت قد أوى
ولكن نفس الحـر تحتمـــل الظما

وما كل برق لاح لـى يستفـــونى
ولا كل أهل الأرض أرضـاه منعمًا

---

(١) راجع فى أخباره: يتيمة الدهر للثعالبى ج٤ ص ٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص ٢٧٨، ومعجم الأدبـاء لياقوت ج ١٤ ص ١٤، ومقدمة كتاب الوساطة لمحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد على البجاوى ، ونـصوص نقديـة للأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ١٠٤، ومحاضرات فى النقد الأدبى للأسـتاذ الـدكتور/ محمـد عرفـة المغربى ص ٨٨.

ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى

لأخدم من لاقيــت لكن لأحد ما

ولم أقض حق العلم إن كان كلَّما

بدا مطمــع صيـَّرته لــى سلما

أأشقى بــه غرسًا وأجنيــه ذلــة

إذا فابتياع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو عظموه فــى النفوس لعظما

ولكن أذلوه جهــارًا ودنســوا

محياه بالأطمــاع حــتى تجهما

أما مؤلفاته فيذكرون منها: الوكالة فى الفقه ، تفسير القرآن المجيد، تهذيب التاريخ ، ديوان شعر، الوساطة بين المتنبى وخصومه ، وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا من مؤلفات القاضى.

ويختلفون فى تاريخ وفاته ، فيرجح بعضهم أنها كانت سنة ٣٩٢هـ، ويرى آخرون أنها كانت سنة ٣٦٦هـ.

كتاب الوساطة

(أ) سبب تأليفه :

يقول الثعالبى: ولما عمل الصاحب بن عباد رسالته المعروفة فى إظهار مساوئ المتنبى عمل القاضى أبو الحسن كتابه " الوساطة بين المتنبى وخصومه" فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمر فى فصل الخطاب، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد [1].

وإن كان ما ذكره الثعالبى يعد السبب الظاهر أو المباشر لتأليف كتاب الوساطة فإن السبب الحقيقى هو ما ذكره الجرجانى فى مقدمة كتاب فقال : وما زلت أرى أهل الأدب – منذ ألحقتنى الرغبة بجملتهم ، ووصلت العناية بينى وبينهم– فى أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فئتين : من مطنب فى تقريظه، منقطع إليه بجملته، يتلقى مناقبه بالتعظيم ، ويشيع محاسنه بالتفخيم، ويعيد ويكرر ، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل، فإن عثر على بيت مختل النظام أو نبه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله ما يزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر– وعائب بروم إزالته عن رتبته ، فلم يسلم له

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ج٤ ص ٤.

فضله ، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه ، فهو يجتهد فى إخفاء فضائله، وإظهار معايبه، وتتبع سقطاته، وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه [1].

فأراد الجرجانى أن يدلى بدلوه فى هذه القضية مقررًا أنه سيتحرى العدل ، ويلتزم الإنصاف غير مجامل ولا متحامل.

(ب) منهجه :

يمكن تقسيم الكتاب قسمين كبيرين ، فى أولهما يضع الجرجانى رأيه ونظره فى خدمة هدفه وبين وجهته فى الأدب والنقد الأدبى، وفى القسم الآخر يحاول تطبيق رأيه وإيضاحه بالمثل والشواهد [2].

ففى القسم الأول بدأ القاضى بما كشف وجهته فى محاولة الدفاع عن المتنبى فقرر أن التفاضل داعية التنافس ، والتنافس سبب التحاسد ، وأن أهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصير من قبيله، وقعد به عن الكمال اختياره ، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه وآخر رأى النقص ممتزجا بخلقته، ومؤثلا فى تركيب فطرته ، فاستشعر لليأس من زواله ، وقصرت به الهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل، يرى أن أبلغ الأمور فى جبر نقيصته ، وستر ما كشف العجز عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سمته [3].

---

(١) الوساطة ص ٣.

(٢) نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠٥.

(٣) الوساطة ص١ .

وكأنه يومى بذلك إلى أن التحامل على أبى الطيب راجع إلى النقص الذى يدفع صاحبه إلى حد الأفاضل وانتقاص الأماجد.

ثم يقرر أمرًا هامًا تكاد الوساطة كلها تقوم على أساسه، وهو أن العبرة بإحسان الشاعر فى الجملة، فيقول : والفضل آثار ظاهرة والتقدم شواهد صادقة، فمتى وجدت تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم، فإن عثر له من بعد على زلة ، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة – انتحل له عذر صادق ، أو ورخصة سائغة ، فإن أعوز قيل : زلة عالم، وقل من خلا منها، وأى الرجال المهذب؟ ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح، ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدًا، ولم نسم به أحدًا ، وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط ؟ أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهف ولم يسقط ؟ [1].

ولتأكيد وجهته شرع فى ذكر أغاليط الشعراء من الجاهليين والإسلاميين مؤكدًا أنه لم يسلم من ذلك قديم ولا محدث .

وقد عرض فى هذا القسم لبعض القضايا، وأبدى رأيه فيها كاختلاف الشعر باختلاف الطبائع، وأثر التحضر فى الشعر، والأسلوب الأمثل، والبديع، وأنهى هذا القسم بالحديث عن الاستهلال والتخلص والخاتمة .

وفى القسم الثانى بدأ الجرجانى فى الوساطة فذكر أن خصم المتنبى فريقان:

---

(١) الوساطة ص ٤.

أحدهما: يعم بالنقص كل محدث ، ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلى وما سلك به ذلك المنهج، وأجرى على تلك الطريقة، ويزعم أن ساقة الشعراء رؤبة ، وابن هرمة، وابن ميادة، والحكم الخضرى، فإذا انتهى إلى من بعدهم – كبشار وأبى نواس وطبقتهم – سمى شعرهم ملحًا وطرفًا واستحسن منه البيت استحسان النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة، فإذا أنزلت به إلى أبى تمام وأضرابه نفض يده، وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرضوا بيتا قط، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد(١).

وما أكثر من ترى وتسمع من حفَّاظ اللغة ومن جلة الرواة من يلهج بعيب المتأخرين، فإن أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويستجيده ، ويعجب منه ويختاره ، فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون محملاً وأقل مرزأة من تسليم فضيلة لمحدث والإقرار بالإحسان لمولد(٢).

وحكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أنه قال : أنشدت الأصمعى :

هل إلى نظرة إليك سبيل

فيُبَلّ الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندى

وكثيــر ممــن تحب القليل

---

(١) الوساطة ص ٤٩.

(٢) الوساطة ص ٥٠.

فقال : والله هذا الديباج الخسروانى، لمن تنشدنى؟ فقلت : إنهما لليلتهما ، فقال : لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر [1].

وليست المحاجة الآن مع هؤلاء – وإن كانوا هم أولى بالمحاجة والمنازعة – لأنهم لم يخصوا شعر المتنبى بالإنكار ؛ بل أنكروا شعر كل محدث أو متأخر " فلا تشغلن بهذه الطائفة مادمت تنظر بين المتنبى وأهل عصره، وأخر المنازعة فى هذا الرأى، وإن كان الخلاف الأكبر ، فإن لكل مقام مقالا" [2].

والفريق الآخر من خصوم المتنبى : هو من استحسن رأيك فى إنصاف شاعر، ثم ألزمك الحيف على غيره، وساعدك على تقديم رجل ، ثم كلفك تأخير مثله؛ فهو يسابقك إلى مدح أبى تمام والبحترى، ويسوغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومى، حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله، وأسميته فى عداد من يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور، ونفر نفار المضيم، وفغضّ طرفه، وثنى عطفه، وصعر خده، وأخذته العزة بالإثم ، وكأنما زوى بين عينيه عليك المحاجم [3].

---

(١) الوساطة : الموضع السابق .

(٢) الوساطة ص ٥٢.

(٣) الوساطة : المرجع السابق ص ٥٣،

وإلى هذا الفريق يتوجه الجرجانى بقوله : خبرنى عمن تعظمه من أوائل الشعراء، ومن تفتتح به طبقات المحدثين ؛ هل خلص شعر أحدهم من شائبة، وصفا من كدر ومعابة؟ فإن أدعيت ذلك وجدت العيان حجيجك، والمشاهدة خصمك؛ وعدنا بك إلى إضعاف ما صدرنا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دعواك، ويحجزك إن كان بك أدنى مسكة عن قولك .

فإن قلت : قد أعثر بالبيت بعد البيت أنكره، وأوجد اللفظ بعد اللفظ لا أستحسنه ، وليس كل معانيهم عندى مرضية ، ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة . قلنا لك : فأبو الطيب واحد من الجملة ، فكيف خص بالظلم من بينها، ورجل من الجماعة فلم أفرد بالحيف دونها ؟ فإن قلت: كثر زلله ، وقل إحسانه، واتسعت معايبه، وضاقت محاسنه، قلنا: هذا ديوانه حاضرًا وشعره موجودًا ممكنا؛ هلم نستقرئه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات، وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطرار إلى القبول أو البهت ، ووقفت بين التسليم والعناد عدنا بك إلى بقية شعره فحاججناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصة فحاكمناك إليه [1].

ولكى يصل الجرجانى إلى هدفه جعل يورد أمثلة من الشعر- جيده ورديئه – لأبى نواس وأبى تمام المشهود لهما عند من يعترف بالشعر الجديد

(١) الوساطة ص ٥٣.

وبالشعراء المحدثين، فإذا تقبلناهما بما لهما من حسنات وهنات فلنتقبل – وهذا هو الهدف – المتنبى بما له من مثل ذلك[1].

ثم أخد يعرض بعض ما أخذ على المتنبى فى شعره، وانتهى إلى القول بأن النقد مرده إلى الذوق قبل الرأى ؛ وأن العبرة بمجموع الشعر لا بأمثلة منه، وديوان الرجل ملىء بالأشعار التى جمعت الحسن من أطرافه، وأخذ الجرجانى يسوق العديد من هذه الأشعار .

ثم انتقل للحديث عن السرقات فأفصح عن رأيه فيها، وذكر طرفًا من سرقات المتقدمين، ثم عرض لسرقات المتنبى، وفى سبيل التماس العذر له حاول الجرجانى التماس العذر للمتأخرين جميعًا ، فقال :

" ومتى أنصف علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذى بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة ، وأبعد من المذمة؛ لأن من تقدمنا قد استغرق المعانى وسيق إليها، وأتى على معظمها ، وإنما يحصل على بقايا: إما أن تكون تركت رغبة عنها، واستهانة بها، أو لبعد مطلبها، واعتياص مرامها، وتعذر الوصول إليها، ومتى أجهد أحدنا نفسه ، وأعمل فكره ، وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل يظنه غريبًا مبتدعًا، ونظم بيت يحسبه فردًا مخترعًا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالا يغض من حسنه. ولهذا السبب أحظر على نفسى ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقة "[2].

---

(١) نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠٧.

(٢) الوساطة ص ٢١٤، ٢١٥.

ثم أنهى الجرجانى وساطته بذكر بعض مآخذ العلماء على أبى الطيب محاولا الدفاع عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وأخيرًا يمكن القول بأن الجرجانى كشف فى وساطته عن ناقد بصير خبير فى فن الأدب، خبير بمواقع الكلم غير أننا نسجل عليه أنه وضع نفسه وفكره – نظرًا وتطبيقًا – موضع المحامى عن المتنبى " [1]**.**

وإذا التمسنا له في ذلك بعض العذر، لأنه كان بصدد الرد على من ينكرون فضل المتنبى ، ويتأخرون به عن أهل طبقته– فإننا لا نؤيد مسامحته فى بعض عيوب المتنبى ، ومحاولته التماس الأعذار له " وكان أولى له أن يشجبها وينفيها ، ويكف الناشئين عنها " [2]**.**

(١) انظر : نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق : الموضع السابق .

تحول النقد الأدبى إلى بلاغة

كانت العرب تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القصيد [1].

وربما قرأت من شعر أحدهم قصائد من غير أن تجد فيها بيت بديع، فإذا وقع ذلك فى قصائدهم، واتفق لهم فى البيت بعد البيت جاء موافقًا للطبع على غير تعمد وقصد، وكان يستحسن ذلك منهم إذا كان نادرًا[2].

فلما أفضى الأمر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات - أبيات البديع - من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها فى الرشاقة واللطف - تكلفوا الاحتذاء عليها، فسموه البديع، فمن محسن ومسىء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط[3].

وأصبح البديع صنعة لها روادها من أمثال بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، والعتابى، ومنصور النمرى، وأبى نواس، وأبى تمام، وابن المعتز، وكان الواحد

---

(١) الوساطة ص٣٣، ٣٤.

(٢) انظر : البديع لابن المعتز، ص١ والوساطة ص٣٤ .

(٣) الوساطة ص٣٤ .

من هؤلاء يقصد إلى البديع ، ويكثر منه فى شعره، لكنهم لم يكونوا سواء فى تلك الصنعة من حيث الإقلال والإكثار ، والسهولة والتوعر، والطابع والاتجاه[1].

وأدى هيام بعض الشعراء بهذه الألوان وإفراطهم فى تناولها إلى إهمال جانب المعنى، كما أدى ببعضهم إلى عدم الاكتراث . بجزالة الألفاظ واستقامتها، مما حدا بكثير من علماء اللغة والأدب إلى أن ينتصروا للقديم ويتعصبوا له، وأن يقفوا فى وجه كل جديد موقفًا متشددًا مقللين من شأن ما يأتى به المحدثون، منكرين عليهم إكثارهم من ألوان البديع وكلفهم بها.

وإلى جانب هذه الطائفة التى تعصبت للقديم كانت هناك طائفة أخرى من الشعراء والنقاد تتعصب للمحدثين، وتنتصر للبديع، وتعد الإكثار منه فى الشعر تفننا فى ضروب القول، ودليلاً على شاعرية الشاعر[2].

ابن المعتز :

كان الخليفة العباسى عبد الله بن المعتز (م ٢٩٦هـ) أحد أنصار المدرسة البديعية، فألف" كتاب البديع" ، ليعلم الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من ألوان البديع، و"أن بشارًا، ومسلمًا، وأبا نواس، ومن تقيلهم[3]، وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم، فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم، فأعرب عنه ودل عليه.

---

(١) الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى أ. د. فوزى السيد عبد ربه عيد ص٢١ ، ط مطبعة الحسين الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

(٢) المرجع السابق ص٢٢ ، ٢٣.

(٣) تقيلهم: أشبههم وسلك طريقهم، يقال: تقيل الولد أباه . إذا نزع إليه فى الشبه والعمل.

ثم إن حبيب بن أوس الطائى من بعدهم شغف به حتى غلب عليه، وتفرع فيه، وأكثر منه، فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف[1].

ويعد هذا الكتاب أول مؤلف يتحول بالنقد الأدبى إلى بلاغة، ويذهب بعض الكتاب إلى القول بأنه أول كتاب فى البلاغة العربية بالمعنى الصحيح، حيث لم يجاوز فى موضوعاته وفنونه دائرة البحث البلاغى[2].

وقد جمع ابن المعتز فى كتابه ثمانية عشر لونًا، أطلق على خمسة منها اسم البديع، وهى الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد الأعجاز على الصدور، والمذهب الكلامى ثم قرر أنه اقتصر على هذه الفنون الخمسة اختيارًا من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق فى المعرفة، فمن أحب أن يقتدى به، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئًا على البديع فله اختياره[3].

أما الثلاثة عشر فنًا الباقية فقد أطلق عليها ابن المعتز محاسن الكلام، وهى : الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض

(١) البديع لابن المعتز ص١ .

(٢) انظر: البيان العربى د/ بدوى طبانه ص ١٢٧، والفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى أ. د / فوزى السيد عبد ربه ص٢٤.

(٣) انظر : البديع لابن المعتز ص ٥٨.

والكناية، والإفراط فى الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه فى القوافى، وحسن الابتداء[1].

قدامة بن جعفر:

جمع قدامة بن جعفر (م ٣٣٧هـ) فى كتابه نقد الشعر عشرين لونًا من ألوان البديع، وقد توارد مع ابن المعتز على سبعة منها، وانفرد بثلاثة عشر لونًا، فتكامل لهما ثلاثون نوعًا[2].

ومن الألوان التى ذكرها قدامة:

١. صحة التقسيم:

وهى أن يبتدئ الشاعر فيضع أقسامًا فيستوفيها ولا يغادر قسمًا منها، كقول نصيب:

فقال فريق القوم لا، وفريقهم

نعم، وفريق قال ـ ويحك ـ لا أدرى

فليس فى أقسام الإجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام[3].

٢. التتميم:

وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التى تتم بها صحته، وتكمل معها جودته شيئًا إلا أتى به، مثل قول نافع بن خليفة الغنوى:

---

(١) راجع: المرجع السابق ص٥٨ ــ ٧٥ .

(٢) الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى أ.د/ فوزى السيد عبد ربه ، ص٢٥ .

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١٣٩ تحقيق أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجة .

رجال إذا لم يقبل الحق منهم

ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع

فما تمت جودة المعنى إلا بقوله "يعطوه" ـ بالبناء للمجهول ـ وإلا لكان المعنى منقوص الصحة[1].

وكقول طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهـــمى[2]

فقوله "غير مفسدها" إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة فى قوله:

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى

ولا زال منهلا بجرعائك القطر

عابوه فى هذا القول، لأن فيه إفسادًا للدار التى دعا لها، وهو أن تغرق بكثرة المطر[3].

(١) نقد الشعر لقدامة، ص١٤٤ .

(٢) الصوب: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذى، والديمة: المطر الدائم تهمى: تسيل، وقوله: غير مفسدها: تتميم واحتراس للديار من الهدم .

(٣) نقد الشعر لقدامة ص١٤٤ ، ١٤٥، وقد اعتذر بعضهم عن ذى الرمة بأنه قدم الدعاء لها بالسلامة فى قوله "اسلمى" .

فكان هذا النهج الذى نهجه قدامة فى كتاب نقد الشعر خطوة جريئة لتدوين البلاغة العربية وأصول النقد الأدبى[١]، ويعدّ هذا الكتاب قاعدة للدراسات البلاغية التى جاءت بعده، والتى أصَّلت الاهتمام بالشكل الأدبى باعتباره مظهرًا للمضمون[٢].

ثم جاء أبو هلال العسكرى (م ٣٩٥هـ) فألّف كتاب الصناعتين الذى دفع بالنقد الأدبى صوب البلاغة دفعة قوية ، بحيث صار الشأن للعناية بتأليف الكلام وتفنين العبارة على ما تقتضيه الصناعة البلاغية، التى أتى أبو هلال بمثلها من القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب – منظومه ومنثوره – فى القديم والحديث إلى عهده [٣].

وكان أبو هلال واضحًا فى إبراز الهدف الذى أراده، فقد قرر فى مقدمة هذا الكتاب أن أحق العلوم بالتعلم، أولاها بالتحفظ بعد معرفة الله جل ثناؤه – علم البلاغة، الذى يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى [٤].

ثم جاء الإمام عبد القاهر الجرجانى (م ٤٧١هـ) فتحول بالنقد الأدبى نحو البلاغة تحولاً كبيرًا ، وذهبت شهرته بين البلاغيين على أنه رجل البلاغة

---

(١) انظر تقديم الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى لكتاب نقد الشعر ص ٥٨.

(٢) تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى د /محمد زغلول سلام ، ص٢٢٣ ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

(٣) نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٤٨ .

(٤) الصناعتين ص ٩.

وقطبها، بل عده كثير من الكتاب والباحثين فى ميدان البلاغة واضع هذا العلم ومؤسسه[1].

وقد اختلط أمر النقد بأمر البلاغة عن بعض الكتاب ، فصاروا لا يفرقون بينهما، ومن هذا القبيل كتاب البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقد، ففى المقدمة يقول أسامة : " هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه، فلهم فضيلة الابتداع، ولى فضيلة الاتباع " [2].

ومن يطالع الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب يجد أنها – فى جملتها – تندرج تحت علوم البلاغة ، ومعظمها داخل فى عداد الفنون البديعة، كما أن أكثر هذه الموضوعات قد عرض عرضًا بلاغيًّا خالصًا، ومن ذلك على سبيل المثال :

١- باب طبقات التطبيق [3].

وفيه يقول : اعلم أن التطبيق هو أن تكون الكلمة ضد الأخرى ، كما قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤﴾ [4].

---

(١) انظر : المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين أ . د / فوزى السيد عبد ربه ، ص ٣٤٥ وتقديم أ . د / محمد عبد المنعم خفاجى لكتاب أسرار البلاغة ص ٦٨، ٧١، ٧٢.

(٢) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ٨ ، تحقيق د/ أحمد أحمد بدوى ، د / حامد عبد الحميد ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٠هـ سنة ١٩٦٠م.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦.

(٤) سورة النجم : الآيتان ٤٣ ، ٤٤.

وقوله تعالى : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1].

وأخفى تطبيق فى القرآن : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [2].

وقال زهير بن أبى سلمى :

ليث بعثر يصطاد الرجال ، إذا

ما الليث كذب عن أقرانه صدفا[3]

وقال آخر يصف حصانًا :

يساهم الوجه لم تقطع أباجله

يصان وهو ليوم الروع مبذول [4]

وقال مسلم بن الوليد :

لا تضحكى يا سلم من رجل

ضحك المشيب برأسه فبــكى

وقال الحسن البصرى فى دعائه : " اللهم إن تبتلينى بنعمة فأشكر ، خير من أن تبتلينى بنقمة فأصبر" .

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٣.

(٢) سورة نوح : الآية ٢٥.

(٣) رواية الديوان : " ما كذب الليث " ، وعثر : اسم موضع .

(٤) ساهم الوجه: متغيره، الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ يكون فى الرجل أو اليد .

وللفرزدق مما يستحسنه المتقدمون :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
ليـــل يصيـــح بحـــافتيـــه نهار

وقال أبو تمام :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقال المنصور : لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية.

٢. باب التذييل[١] :

وفيه يقول : اعلم أن التذييل هو : أن تأتى فى الكلام جملة تحقق ما قبلها ، كقوله تعالى :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾[٢] ، ثم حقق الكلام بقوله :﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[٣] .

ومنه قول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمه
على شعث ، أى الرجال المهذب

ومنه :

فدعوا : نزال ، فكنت أول نازل
وعلام أركبه إذا لم أنزل

(١) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ١٣٥.
(٢) التوبة : آية ١١١ .
(٣) التوبة : الآية ١١١.

٣- باب الاعتراض [١]:

وفيه يقول : اعلم أن الاعتراض هو أن تذكر فى البيت جملة معترضة لا تكون زائدة ، بل يكون فيها فائدة ، مثل قول الشاعر:

إن الثمانيـــن – وبلغتهـــا – قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

وكقول المتنبى :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب

ترى كل ما فيها – وحاشاك – فانيا

احترز بقوله : حاشاك ، من دخول فى الفناء.

ومنه :

لو أن الباخلين – وأنت منهم –

رأوك تعلموا منك المطالا

(١) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ١٣٠.

اللفظ والمعنى

تعد قضية اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون واحدة من أبرز القضايا التى أخذت نصيبًا وافرًا من التناول والدراسة فى القديم والحديث [١].

ولم يتفق النقاد فيها على رأى ثابت يكون معيارًا للتفاوت أو التفاضل بين المنشئين؛ فبعض النقاد ينتصر لجانب اللفظ، ويرى أن الشأن ليس فى إيراد المعانى، لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى، والقروى والبدوى وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه ونزاهته، ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابًا، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على هذه الصفة التى تقدمت [٢].

وبعضهم ينتصر للمعنى، ويرى أن الألفاظ خدم للمعانى، والمخدوم – لا شك – أشرف من الخادم [٣]، وأن لطيف المعانى هو ضالة الشعراء

---

(١) انظر : الحيوان للجاحظ ج١ ص ١٣١، والبيان والتبيين ج١ ص ٧٥، ٧٦، ٨٣، والشعر والشعراء ص ٢٤، والموازنة للآمدى ج ١ ص ٤٢٠، ٤٢٩، وعيار الشعراء ص ٢١، وأسرار البلاغة ج١ ص ١٢٤ ، ومقدم شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج ١ ص ٩، واتجاهات النقد الأدبى العربى ص ٢٢٨، وقضايا النقد الأدبى الحديث لأستاذنا الدكتور/ محمد السعدى فرهود ص ٢٦، وفى محيط النقد الأدبى لأستاذنا الدكتور إبراهيم على أبو الخشب ص ٥٥، والاعتذاريات فى الشعر العربى حتى نهاية العصر العباسى (رسالة دكتوراه) للمؤلف ص ٢٦٢.

(٢) الصناعتين للآمدى ص ٦٣ – ٦٦.

(٣) الخصائص لابن جنى ، ج ٢ ص ٢٢٠ تحقيق / محمد على النجار، ط عالم الكتب– بيروت .

وطلبتهم، وبهذه الخلة دون سواها فُضِّل امرؤ القيس على سائر شعراء الجاهلية [١].

ومنهم من يقف موقفا وسطًا فلم يفصل بينهما، ولم يفضل أحدهما على الآخر وشبههما بالروح والجسد، فاعتبر اللفظ جسدًا روحه المعنى، لا غنى لأحدهما عن صاحبه [٢].

وهذا ما أميل إليه ، لأن الكلام إذا خلا من المعانى الجيدة كان كالطبل الأجوف لا فائدة فيه ، ولا طائل من ورائه [٣].

كما أن الشاعر أو الأديب إذا أتى بالمعنى الجيد فى تأليف سيىء ولفظ ردىء ذهب بطلاوة معناه ، وأفسده وعماه [٤]. فلا اللفظ وحده يجدى ولا المعنى وحده يغنى وإنما يسمو الكلام ويرتفع قدره بهما معًا.

- رأى الإمام عبد القاهر :

جاء الإمام عبد القاهر فوجد أمامه فريقين : فريق يميل إلى جانب اللفظ باعتبار أن الجمال راجع إليه. والفريق الآخر يميل إلى جانب المعنى ، ويجعله مناط التفاضل والتفاوت، فبدأ عبد القاهر – فى كتابه دلائل الإعجاز – بنقض النظرتين ، " وفند رأى من يجعل مدار البلاغة على اللفظ أو على المعنى، ورأى أنها إنما هى فى العلاقة بين الألفاظ فى العبارات وبين المعانى، أى فى

(١) الموازنة ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) انظر : العمدة ج ١ ص ١٢٤.

(٣) انظر : فى محيط النقد الأدبى أ . د إبراهيم على أبو الخشب ص١١٠.

(٤) انظر : الموازنة للآمدى ج ١ ص ٣٢٥.

طريقة نظم الكلام، وأكد أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها فى النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل [1].

فالنظم – فى رأيه – هو أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء [2].

ومما ينبغى أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعانى الكلم أفرادًا مجردة من معانى النحو، فلا يقوم فى وهم ولا يصح فى عقل، أن يتفكر متفكر فى معنى فعل من غير أن يريد إعماله فى اسم، ولا أن يتفكر متفكر فى معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولاً ، أو يريد فيه حكما سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ، أو خبرًا، أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك.

فإنك إذا فكرت فى الفعلين أو الاسمين ، تريد أن تخبر بأحدهما عن الشىء أيهما أولى أن تخبر به وأشبه بغرضك؟ مثل أن تنظر: أيهما أمدح أو أذم؟ أو فكرت فى الشيئين تريد أن تشبه الشىء بأحدهما أيهما أشبه به؟ كنت قد فكرت فى معانى أنفس الكلم، إلا أن فكرك لم يكن إلا من بعد أن توخيت فيها معنى من معانى النحو، وهو أن أردت جعل الاسم الذى فكرت فيه خبرًا عن شىء ، أردت فيه مدحًا أو ذمًا أو تشبيهًا أو غير ذلك من الأغراض،

---

(١) تقديم الأستاذ الدكتور / محمد عبد خفاجى لأسرار البلاغة ص٤٠.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٨١.

ولم تجئ إلى فعل أو اسم ففكرت فيه فردًا، ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خبرًا أو غير خبر [1].

وإن أردت مثالاً فخذ بيت بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وانظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معانى هذه الكلم بباله أفرادًا عارية من معانى النحو التى تراها فيها، وأن يكون قد أوقع " كأن " فى نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شىء، وأن يكو ن فكرّ فى " مثار النقع" من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثانى ، وفكر فى " فوق رووسنا" من غير أن يكون قد أراد أن يضيف فوق إلى الرءوس، وفى " الأسياف" من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على مثار ، وفى الواو من دون أن يكون أراد العطف بها، وأن يكون فكر فى " الليل " من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرًا لكأن، وفى " تهاوى كواكبه" من دون أن يكون أراد أن يجعل تهاوى فعلاً للكواكب، ثم يجعل الجملة صفة لليل ، ليتم الذى أراد من التشبيه؟ أم لم تخطر هذه الأشياء بباله إلا مرادًا فيها هذه الأحكام والمعانى التى تراها فيها ؟ [2].

(١) دلائل الإعجاز ص٤١٠، ٤١١.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤١١، ٤١٢.

وهل يقع فى وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان ، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية؟ أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟

وهل تجد أحدًا يقول : "هذه اللفظة فصيحة "، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعانى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟

وهل قالوا : لفظة متمكنة، ومقبولة ، وفى خلافه : قلقة ، ونابية، ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية فى معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية فى مؤداها؟ [1].

وخلاصة ما يقرره عبد القاهر هو [2].

١. أنه لا فصل بين الألفاظ ومعناها ، ولا بين الصورة والمحتوى، ولا بين الشكل والمضمون فى النص الأدبى.

٢. أن البلاغة فى النظم ، لا فى الكلمات مفردة، ولا فى مجرد المعانى، والباحث عن الإعجاز عليه أن يتبعه فى النظم وحده.

٣. أن النظم هو مراعاة معانى النحو وأحكامه وفروقه ووجوهه فيما بين معانى الكلم.

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٤، ٤٥.

(٢) تقديم الأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى لأسرار البلاغة ص ٨٢.

أهم المصادر والمراجع

١. اتجاهات النقد الأدبى العربى، للأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود ،ط . دار الطباعة المحمدية ١٤٠٠-١٩٨٠م.

٢. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر، تحقيق أ . د / محمد عبد المنعم خفاجى ، نشر مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣. أصول النقد الأدبى ، للأستاذ أحمد الشايب، ط . النهضة المصرية ١٩٧٣م.

٤. الأغانى ،لأبى الفرج الأصفهانى، ط مطبعة التقدم بمصر .

٥. الأمالى ، لأبى على القالى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

٦. البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، ط دار الجيل بيروت .

٧. جمهرة أشعار العرب ، لأبى زيد القرشى، ط دار صادر، بيروت .

٨. دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر ، تحقيق الأستاذ / محمود شاكر، نشر مكتبة الخانجى ١٩٨٤م.

٩. ديوان المعانى ، لأبى هلال العسكرى، ط دار الجيل، بيروت .

١٠. روح المعانى، للألوسى، ط المركز الإسلامى ، نشر مكتبة دار التراث.

١١. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان، ط دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٧م.

١٢. العمدة لابن رشيق، تحقيق الأستاذ / محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، بيروت.

١٣. الفنون البديعية فى دائرة البحث البلاغى، أ . د / فوزى السيد عبد ربه، ط مطبعة الحسين الإسلامية.

١٤. قضايا النقد الأدبى الحديث، للأستاذ الدكتور/ محمد السعدى فرهود زهران ط . مطبعة زهران ١٩٦٨م.

١٥. محاضرات فى النقد الأدبى، أ .د/ محمد عرفة المغربى، ط المؤلف.

١٦. معالم على طريق النقد القديم، د/ رجاء عبد المنعم جبر ، نشر مكتبة الشباب بالقاهرة .

١٧. المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين، أ . د / فوزى السيد عبد ربه عيد، ط . دار المعارف ١٩٨٣م .

١٨. الموازنة، للآمدى، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط . دار المعارف .

١٩. الموشح، للمرزبانى، تحقيق على محمد البجاوى، ط. دار الفكر .

٢٠. نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق أ . د / محمد عبد المنعم خفاجى، ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠م.

٢١. نصوص نقدية أ . د/ محمد السعدى فرهود، ط . دار الطباعة المحمدية ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٢. النقد المنهجى عند العرب، أ . د/ محمد مندور، ط دار نهضة مصر ، ١٩٦٩م.

٢٣. الوساطة للقاضى الجرجانى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى ،نشر المكتبة العصرية ، بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
تمهيد	
مفهوم النقد	
الناقد وما يشترط فيه	
الذوق الأدبى	
الفصل الأول : النقد فى العصر الجاهلى	
مظاهر النقد ومنهجه فى العصر الجاهلى	
الفصل الثانى : النقد فى عصر صدر الإسلام	
موقف الإسلام من الشعر	
النبى ﷺ ناقدًا	
الرؤية النقدية عند أصحاب الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين	
طبيعة النقد وما طرأ عليه من مقاييس فى عصر صدر الإسلام	
الفصل الثالث: النقد فى العصر الأموى	

الموضوع	الصفحة
عوامل ازدهاره	
اتجاهات النقد فى العصر الأموى	
الفصل الرابع : النقد فى العصر العباسى	
عوامل ازدهار النقد فى هذا العصر	
النقد المنهجى	
الآمدى ومنهجه فى كتاب الموازنة	
الوساطة للقاضى الجرجانى	
تحول النقد الأدبى إلى بلاغة	
اللفظ والمعنى	
أهم المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	